



الإعجاز البياني في الرسم العثماني

الدكتور
حمدي الشيخ





جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع:

مركز السلام للتجهيز
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

دار اليقين

الإهداء

إلى من وجهني إلى دراسة هذا الموضوع وتدبر أسرار
إعجاز القرآن الكريم والارتواء من فيض أنواره، وعظيم
أسراره، أهدي هذا الكتاب
إلى الشيخ أحمد البسفي الأول بن مصطفى خادم
الطريقة الجامعة

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين
وبعد،

فهذه قطوف من بستان القرآن الكريم، كقطرة من فيض الإعجاز البياني في الرسم العثماني، وجهني إليها فضلية الشيخ أحمد مصطفى البسفي، وشوقني إلى الغوص في محيطات القرآن للبحث عن اللؤلؤ المكنون، فكان بحثي عن وجوه البيان في إعجاز رسم القرآن الكريم.

وقد رأي الباحث أن يخوض غمار هذا البحث راجيا من الله العون والتوفيق فبدأ البحث بتعريف الرسم العثماني والوقوف على منهج الكتابة عند العرب قبل الإسلام وبيان الحكمة من كون الرسول أميا قبل الدعوة ثم معلم البشرية بفضل الله ونعمته يقول تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

ثم وقف الباحث أمام افتراءات المستشرقين حول كتاب الله تعالى والرد على ادعائهم بوجود اللحن في القرآن الكريم - أي الخطأ - ثم زاد افتراؤهم على الصحابة رضوان الله عليهم بأنهم كانوا يعلمون هذا الخطأ وتركوا تغييره لسجية العرب، وقوله بأن القرآن الكريم رتب باصطلاح المسلمين وليس توقيفا.

وقد وقف الباحث رادا على هذه الافتراءات مؤكدا أن هذا الكتاب السماوي هو الذي تكفل الحق بحفظه، ولن يأتيه الباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

أما عن الصحابة فكانوا مصابيح هداية مقتدين بالنبي ﷺ عاملين على جمع الأمة حول كتاب الله تعالى، فهو دستور دينهم في الأمور الدينية والدنيوية ومنهج التشريع الذي يصلح لكل زمان ومكان، ومن ثم بذلوا جهودهم في جمع القرآن الكريم وتوزيعه على الأمصار وفق المنهج الذي جمعه عليه النبي ﷺ واتبعه أبو بكر بعده ثم عثمان بن عفان فهو

جمع توقيفي وفق الرسم الذي راجعه جبريل عليه السلام في العرضتين الأخيرين في العام الأخير من حياة النبي ﷺ.

وقد رأي الباحث أن يرتب الكلمات بالرسم العثماني ترتيباً هجائياً ليسهل على القارئ تحديد المطلوب ثم البحث في أعماق هذا الاختيار للوقوف على بعض أسرار الإعجاز البياني في الرسم العثماني، فلم يأت هذا من فراغ ولم يأت عبثاً، فالكاتب واحد، والمشهد مختلف، والرسم يصور اختلاف الرسم وفق اختلاف المعنى، فليس هذا كما يدعون ثمرة خطأ الكاتب أو نسيانه فalcوا عد الإملائية كانت معروفة على زمن النبي ﷺ وقد كتبت رسائل النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك في البلاد المجاورة، ويبدو اختلاف الرسم في الرسائل عن الرسم العثماني للكلمات نفسها، والأعجب من ذلك أن تجد الكلمة نفسها في القرآن الكريم يختلف رسمها لاختلاف الموقف الذي وردت في سياقه لتدل على إعجاز بياني يحتاج إلى تدبر قرأني يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فالحق سبحانه يدعونا إلى تدبر القرآن الكريم، للوقوف على فيض إعجازه والاهتداء بما فيه، فعلينا إمعان النظر والتدبر حتى يهدينا الله إلى معرفة بعض أسرار إعجاز بيان القرآن الكريم.

وقد فرضت طبيعة البحث في كتاب الله تعالى الوقوف أمام قضايا متعلقة به كالوقف والابتداء، والأحرف السبعة وعلاقة القراءات بها، والترادف والأضداد والمشارك اللفظي وبيان الحكمة منها ووجوب معرفتها حتى يسهل على القارئ فهم كتاب الله تعالى، وتدبر معانيه، والاهتداء إلى بعض أسراره بمقدار إخلاص النية يكون العطاء فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وهذا جهد المقل فإن أك وفقت فالخير أردت، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت وما توقيفي إلا بالله عليه توكلت وإليه مآب.

الباحث

القاهرة في ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٤٣٠ هـ

الموافق ٨ من أبريل سنة ٢٠٠٩ م

أولاً : إعجاز رسم القرآن الكريم

الرسم لغة: الرسم لغة أي الأثر، أي أثر الكتابة في اللفظ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائية بتقدير الابتداء بها، والوقوف عليها، وترسمت: أي نظرت إلى رسوم الدار. وقال أبو تراب: سمعت عراً يقول: هو الرسم والرسم للأثر، ورسم على كذا ورشم أي كتب.

الرسم اصطلاحاً: هو الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان ؓ في كتابة كلمات القرآن وحروفه، فالأصل في المكتوب موافقة المنطوق.

أنواع الرسم:

- أ- قياسي: وهو تصوير اللفظ بحروف هجائية غير أسماء الحروف مع تقدير الابتداء والوقف.
- ب- عثماني: وهو علم تعرف به مخالقات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي^(١)
- ج- عروضي: وهو تصوير اللفظ للحركات والسكنات، وتحديد وزن الأبيات ونسبتها إلى بحورها.

ويهمنا في هذا الكتاب الرسم العثماني الذي حدده عثمان بن عفان ؓ وارتضاه النبي ﷺ قبل وفاته وسار عليه المسلمون حتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. يقول ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ: «ربما أضيف فن الرسم إلى فن القراءات وهى أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية»^(٢)

لماذا ارتبط الرسم بعثمان ؓ؟ لقد ارتضى النبي ﷺ هذا الرسم في عهده، وجمع عليه القرآن في عهد عثمان بن عفان، ووزع علي الأمصار فارتبط رسمه بهذه المصاحف التي بعثت إلي الأمصار وفق الرسم الذي خطه الصحابة كتبه الوحي - حين خطوا المصاحف^(٣)

(١) السيوطي : همع الهوامع ، ت عبد العال مكرم ٢ / ٣٠٥

(٢) تاريخ بن خلدون ١ / ٧٩١

(٣) ارجع الي : غانم قدوري : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية / ١٥٧ .

موقف العلماء من رسم المصاحف

ذهب فريق من العلماء إلى أن رسم المصحف توقيفي، واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ كان له كتبة يكتبون الوحي، وكانوا يراجعون ما كتبوا عليه، وقد أقرهم على ذلك، وحفظ هذا المصحف الإمام الذي تمت مراجعته أمام النبي ﷺ حتى جاء عهد عثمان بن عفان وكتبت عدة نسخ منه ووزعت على الأمصار، وأطلق عليها الرسم العثماني نسبة إليه.

وقد نقل ابن المبارك عن شيخه الدباغ أن القرآن كان بتوقيف من النبي ﷺ وليس للصحابة شأن في هذا، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الألف ونقصائها، لأسرار تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وإن كان نظم القرآن معجزاً فرسمه أيضاً معجزاً^(١)

وذهب جمهور العلماء إلى أن الرسم العثماني ليس توقيفاً عن النبي ﷺ ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان ؓ وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا تجوز مخالفته.

والعلماء مجمعون على أن ترتيب الآيات في السور كان يتم بأمر من النبي ﷺ يقول السيوطي: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك.. أما ترتيب السور في المصحف فقد اختلفوا في كونه توقيفياً عن النبي ﷺ أو اجتهاداً من الصحابة، وجمهور العلماء على الثاني، والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ تدل على أنه رتبها في الصلاة على نحو ما هي مرتبة الآن.^(٢)

ويري الباحث أن القرآن الكريم توقيفي من رسول الله ﷺ وأنه قد كتب أمام النبي ﷺ وارتضاه وفق مراجعة القرآن الكريم مرتين في العام الأخير من حياة النبي ﷺ وقد كتب وفق القواعد الصوتية التي نطق بها القرآن وحفظ في صدور الصحابة وكتب موافقاً لنطقه وسار الصحابة عليه حتى جاء عهد عثمان فنسخ المصحف في سبع مصاحف بالرسم نفسه ووزعت على الأمصار وبذلك يكون الرسم توقيفاً لا دخل للأمة في تغييره وإن خالف قواعد الكتابة المعروفة في عصر النبي ﷺ والصحابة والمائلة في رسائل النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ولذلك

(١) أحمد بن المبارك: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز: الحلبي / ١٠١

(٢) الفوائد: العز بن عبد السلام / ٢٦، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٦٠ السيوطي الإقتان ١ / ١٧٢

كانت القواعد ثابتة والرسم الذي وضعه النبي ﷺ وأقره سار عليه الصحابة والتزموه في المصحف فهو معجز ولو تغير لتغير القرآن مع تغير قواعد الإملاء وهذا يخالف قول الحق سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر / ٩

وإن إتباع الرسم العثماني لذلك واجب على الأمة الإسلامية وقد نقل الجعبري وغيره «إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني»، وقد سئل الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟

فقال: لا إلا على الكتابة الأولى^(١) وقال البيهقي «من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً، ولساناً، وأعظم أمانة، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم»^(٢) ويقول الزرقاني: إن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته وذلك مذهب الجمهور، واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن فعلاً بهذا الرسم، وأقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم، ومضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل، بل ورد أنه ﷺ كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم القرآن وكتابته ومن ذلك قوله لمعاوية وهو من كتبه الوحي: ألق الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السين، ولا تُعَوِّر الميم، وحسّن الله، ومُدّ الرحمن، وجوّد الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك»^(٣) وقال القاضي عياض: أجمع المسلمون على أن من نقص حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا فهو كافر^(٤)

فوائد الرسم العثماني ومزاياه

١ - يمتاز الرسم العثماني بدلالته على القراءات جميعها فكل قراءة لها نصيب من المصحف وفي الكلمات الواحدة كقوله تعالى ﴿قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرٌ﴾ طه / ٦٣ رسمت بدون نقط أو إعراب فدلّت على ذلك وصلحت لكل القراءات لأن موافقة

(١) أبو عمر الداني: المبارك: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز: الحلبي / ١٠١

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٧٩ .

(٣) مناهل العرفان: ج ١ / ٣١٧

(٤) عبد الفتاح شلبي: رسم المصحف العثماني: مكتبة وهبه / ٢

الرسم العثماني ولو احتمالاً شرط لقبول القراءة.

٢- الدلالة على المعاني المختلفة بطريقة ظاهرة، ومثال ذلك القطع والوصل في أم فهي مقطوعة وسميت بذلك لقطع الكلام الأول واستئناف غيره. ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ النساء / ١٠٩ لتفيد معنى الانقطاع هنا.

وموصولة في: ﴿أَمْنَ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الملك / ٢٢ لأنها ليست مقطوعة
٣- الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة فإن كان للكلمة قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل القراءتين أو الأكثر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا آلَ مَلِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ فقد قرئت: عباد الرحمن، عبد الرحمن والرسم يحتمل القراءتين.

٤- إفادة بعض اللغات الفصيحة كلغة هذيل التي تحذف الياء نحو ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾^(١) الأنعام / ١٥٨، وتكون كذلك للدلالة على التعظيم كزيادة الياء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذاريات / ٤٧ وتكون دالة على سرعة حدوث أو زوال الباطل بسرعة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ الشورى / ٢٤ وهى توحى بسرعة ذهاب الباطل.

ولتوافق لغة فصحي كلغة طيء وهى لغة فصحي نحو قوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف / ٥٦ أو تكون للإيذان بجواز الوقف عليها بالتاء على لغة طيء

٥- الدلالة على أصل الحركة بكتابة حرف مجانس للحركة كالواو دلالة على الضمة نحو: «الصلوة» و«الزكاة»

وذلك لأن المصاحف العثمانية كانت خالية من النقط والشكل، ولذلك أشير إلى بعض الحركات بحروف تدل عليها مثل زيادة الياء في قوله تعالى ﴿مِنْ نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام ٣٤ زيدت الياء بعد الهمزة للدلالة على الكسرة ومثل زيادة الواو في قوله تعالى ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف / ١٤٥ زيدت الواو في ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ للدلالة على أن الهمزة مضمومة^(٢)

٦- الدلالة على أصل الحرف نحو: الصلاة والزكاة والربا والحياة فأصلها الألف وكتبت بالواو ورسم الألف ياء نحو: الضحى، يغشى، التقوى فإذا كان أصلها الواو رسمت ألفا

(١) حذف ياء المضارعة من غير جازم على لغة هذيل، كقوله تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) هود / ١٠٥

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ١ / ٤٥٦

للدلالة على عدم إمالتها نحو: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ البقرة/ ١٥٨ «وعفا، دنا، ودعا» نحو: ﴿فَتَأْتِ عَلَيَّكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البقرة/ ١٨٧ وقوله ﴿هَذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبُّهُ﴾ آل عمران ٣٨

الكتابة عند العرب

هل كان العرب في الجاهلية يقرؤون ويكتبون؟

تذكر كثير من المصادر أن العرب لم يكونوا أهل قراءة وكتابة في الجاهلية، ويذكر آخرون أن قليلا منهم كانوا يقرؤون ويكتبون، يقول إبراهيم أنيس: «إن العرب لم يكونوا أهل كتابة قراءة»^(١) ويروي ابن سعد في الطبقات الكبرى أن الكتابة كانت في العرب قليلة وبهذا الرأي قال ابن فارس: «لم نزع أن العرب كلها مدراً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها»^(٢)

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين: «كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، ثم لا يقيده العربي على نفسه، ولا يدرسه أحد من ولده وكانوا أميين لا يكتبون»^(٣)

وتؤكد المصادر التاريخية أن العرب كانوا يعرفون الكتابة منذ دولة الحميريين في اليمن، الذين كانت لهم «كتابة تسمى المسند، حروفها منفصلة، وهو الخط الذي بلغ درجة كبيرة من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة»^(٤)

ويرى الباحث أن العرب كانت تعرف القراءة والكتابة قبل الإسلام، ولكن كان هناك كثير منهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، وكانوا يسجلون روائعهم من المعلقةات وكانوا يكتبونها بباء الذهب ويعلقونها على أستار الكعبة. وقد اعتمد كثير من العرب على الحفظ ونقل الآثار محفوظة وكان منهم من يسجل الديون والعقود والمعاملات مع الآخرين من أهل البلاد الأخرى الذين يأتون إليهم للتجارة وتبادل المعاملات فيما بينهم.

وقد خاطب الحق سبحانه وتعالى العرب بما يقرؤونه ويكتبونه وبما تعارفوا عليه فقال

(١) في اللهجات العربية ط ٤ سنة ١٩٥٢ / ٣٣

(٢) الصاحبى في فقه اللغة : أحمد ابن فارس لك المكتبة السلفية ط ١٩١٠ / ٨

(٣) البيان والتبيين ت عبد السلام هارون : الخانجى ط ١٩٧٥ / ٣ / ٢٨

(٤) مقدمة ابن خلدون / ٤١٨

تعالى في آية الدين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ البقرة ٢٨٢
فكيف يخاطب الحق سبحانه العرب بما يجهلون؟ وكيف يطلب منهم ما يعجزون عنه؟

فلا بد أن العرب كانوا يقرءون ويكتبون، وكان فريق منهم يسجلون، ولذلك خاطبهم الحق سبحانه وتعالى بما يعرفون، وأمرهم بتسجيل الدين والإشهاد عليه ولا يكون ذلك إلا بين من يقرءون ويكتبون.

وقد كان للنبي ﷺ كتاب الوحي الذين كانوا يكتبون القرآن أمام النبي ﷺ ويسجلونه على العصب واللخاف والجلود والحجارة، وكانوا يراجعون القرآن الكريم محفوظاً على المكتوب في عهد النبي ﷺ وامتد ذلك إلى عهد الخلفاء الراشدين حتى جمع عثمان بن عفان ؓ المصاحف على رسم واحد وأرسل لكل مصر نسخة وأحرق النسخ الأخرى وبذلك جمع عثمان الأمة على مصحف واحد.

وللجاحدين المنكرين معرفة العرب للقراءة والكتابة لا تقول لهم إلا اقرأوا قول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً العرب الذين أنكروا الرسالات السماوية وطلبوا من رسلهم أن يأتوهم بكتاب يقرؤونه، فلو كانوا لا يقرؤون أو لا يعرفون القراءة والكتابة فكيف يطلبون من رسلهم هذا الأمر؟

يقول تعالى ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفرقان ٥
وقوله تعالى ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الإسراء ٩٠
وقوله تعالى ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكِ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ الإسراء ٩٣

كتابة القرآن وجمعه

أولاً: في عهد النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ حريصاً على حفظ القرآن وتلاوته ولذلك خاطبه الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ القيامة ١٦

وكذلك كان الصحابة حريصين على حفظ القرآن الكريم وتلاوته والتعبد به في

صلاتهم، وكانوا يتدارسون فيه بينهم، يروى السيوطي ت ٩١١ هـ: « كان من الصحابة رضوان الله عليهم من يقرءون ويكتبون وكان منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة، وسالم، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وعائشة وحفصة وأم سلمة، وعبادة بن الصامت، ومعاذ، ومجمع ابن جارية وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد»^(١)

وقد حرص النبي ﷺ على تسجيل الوحي لحظة نزوله فكان يحفظه ويحفظ الصحابة معه ما نزل من القرآن من خلال مدرسته والاستماع إليه في الصلاة، وكان للنبي ﷺ كتابة الوحي وكان كلما « نزل عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته إمعاناً في تسجيله وتقويده وزيادة في التوثيق والضبط في القرآن الكريم»^(٢)

وكان من الصحابة من يكتبون القرآن لأنفسهم ليسهل عليهم حفظه ومدرسته وكان منهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم، فلما قبض النبي ﷺ كان القرآن كاملاً محفوظاً في الصدور ومكتوباً بالسطور في بيت النبي ﷺ ومرتباً وفق مراجعة جبريل عليه السلام في العريضة الأخيرة عام وفاة النبي ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة ٣ روى ابن عباس ؓ أن الرسول ﷺ كان «إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا.

وعن زيد بن ثابت قال: « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»

جمع القرآن في عهد أبي بكر:

لما جاء عهد أبي بكر، وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً وكثرت الحروب ومات كثير من حفظة القرآن الكريم في معركة اليمامة وغيرها خشي الصحابة على القرآن الكريم من الضياع بموت الحفظة فشرح الله صدر عمر بن الخطاب لجمع القرآن في مصحف واحد فأشار على الصديق بهذا الأمر حتى شرح الله صدره فأمر بكتابة القرآن الكريم في مصحف واحد. وقد اعتمد الصحابة في كتابة مصحف الصديق أبي بكر على المكتوب في بيت النبي

(١) الالتقان في علوم القرآن ١ / ٧٢

(٢) الزرقاني: مناهل العرفان ١ / ٢٤٦

ﷺ ومطابقته بالمستور في صدور حفظة القرآن الكريم إمعانا في التدقيق واحتياطا من الخطأ.

اختيار زيد بن ثابت لكتابة القرآن:

لم يقع الاختيار على زيد بن ثابت من فراغ ليقوم بأشرف مهمة في المحافظة على كتاب الله تعالى، فقد كان مقربا من النبي ﷺ وكان من كتبة الوحي، وقد حضر العرصة الأخيرة للقرآن الكريم وقد كان راجح العقل والفكر، نقي القلب حريصا على الصدق والأمانة في حياته ولذلك لم يتردد أبو بكر في إسناد الأمر إليه.

زيد بن ثابت كاتب الوحي:

« دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا: حدثنا بعض حديث رسول الله ﷺ فقال: ماذا أحدثكم؟ كنت جار رسول الله ﷺ فكان إذا نزل الوحي عليه قال لمن عنده: ادع لي زيدا، وليجئ باللوح والدواة أو الكتف والدواة، ثم يقول له اكتب... ويملى عليه الآيات »^(١)

مراجعة النبي ﷺ ما يكتب:

كان النبي ﷺ يراجع الصحابة في ما يكتبون من القرآن، فيروى عن زيد بن ثابت أنه قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملى على فإذا فرغت قال: اقرأه فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه »^(٢)

قال زيد: فعرضت عرصة واحدة فوجدتني قد أسقطت هذه الآية من الأحزاب / ٢٣ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ فسألت المهاجرين والأنصار، فلم أجدها عند أحد منهم وقد كنت أعرفها وقد كان أملاها علي رسول الله ﷺ فكرهت أن أثبتها حتى يشهد معي غيري فأصبتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين »^(٣)

ويروى الطبري والداني عن أبي قلابة أنه قال: حدثني أنس بن مالك قال: كنت فيمن يملى عليهم قال: فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجي

(١) البخاري ٢٢٧/٦

(٢) الصولى ١٦٥

(٣) ابن سعد ٣٧٨/٤

أو يرسل إليه وهذه الرواية تشير إلى حرص الكتبة على ألا يكتبوا آية قد يختلف في قراءتها إلا بعد التأكد من الصيغة التي أقرها النبي ﷺ للصحابة. ^(١)

ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنت ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وذهبت جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين كما يقول ابن الجزري إلى أن هذه المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها لم تترك حرفاً منها. ^(٢)

كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة كانوا يقرءون القراءة العامة وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه وولاه عثمان كتبة المصاحف. ^(٣)

منهج زيد في كتابة القرآن:

اتبع زيد منهجاً رشيداً في تسجيل وكتابة أي الذكر الحكيم فكان لا يكتب آية إلا إذا حضر شاهدان حافظان وكتب وشهدا بصدق الآية وأنها يحفظانها من رسول الله ﷺ فزيد كان يعتمد على مصدرين موثوقين لتسجيل الآية الكريمة الأول: ما كتب أمام النبي ﷺ والثاني المحفوظ واشترط أن يشهد شاهدان من حفظة كتاب الله بأن هذه الآية سمعها الصحابة من قراءة رسول الله ﷺ بهذه الصورة، فزيد كان حافظاً، ومعه القرآن مكتوب في مصحفه الخاص، وفي مصحف النبي ﷺ المحفوظ في بيت عائشة - ض - ويأتي الرجل بالآية وعليها شاهدان من حفظة كتاب الله حتى يقبل زيد تسجيلها في موضعها من السورة ولم يقبل شيئاً دون أن يشهد شاهدان عدلان بأنه كتب بين يدي النبي ﷺ.

وعلى هذا النظام الرشيد سار زيد بن ثابت في جمع المصحف ثم وضع في بيت أبي بكر ثم في بيت عمر بعده ثم في بيت حفصة زوج النبي ﷺ حتى أخذها عثمان بن عفان ونسخ

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٦٢ المقنع ٧/ الإتيان ١/ ١٧٠

(٢) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ١/ ٣١، السيوطي: الإتيان ١/ ١٤١

(٣) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣٧

المصحف ووزعه على الأمصار وأحرق جميع المصاحف خشية اختلاف الصحابة في القرآن الكريم.

ورغم ذلك قال المستشرقون إنه حَرَّاق المصاحف، واتهموه اتهاماً باطلاً، والحقيقة أنه خشي الفتنة والاختلاف والصراع وضياح المسلمين بتفرقهم في القراءة فجمعهم على المصحف الإمام الذي كتب بين يدي النبي ﷺ وتمت مراجعته ونسخه في عهد أبي بكر، وأمر بإحراق مصاحف الصحابة التي كتبوها لأنفسهم حتى يجتمع أمر المسلمين، وتتحد كلمتهم.

وقد ورد في صحيح البخاري ت ٢٥٦هـ أن «زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: والله إن هذا خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك، وقد رأيت الذي أرى عمر.

قال زيد: وقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا أتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه.

قال زيد: فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. (١)
وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» (٢)

ولما قام الرجالان بالمهمة العظيمة المكلفان بها قام عمر بن الخطاب بعد الصلاة ونادى المسلمين: «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به» (٣) ودأباً على هذا العمل العظيم حتى جمع المصحف ووضع في بيت أبي بكر.

جمع القرآن في عهد عثمان:

أدى اتساع الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان ؓ إلى اختلاف الأمصار في

(١) البخاري ٦/ ٢٢٥، المصاحف لابن أبي داود/ ١٣.

(٢) المصاحف / ١٨

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٥٨

القراءات للقرآن الكريم، فكل قبيلة تقرأ بلغتها، وحدثت اختلافات بين الأمصار في القراءة وكان المسلمون يختلفون فيما بينهم، وكل منهم يؤكد أن قراءته صحيحة ومسندة إلى النبي ﷺ وكان سبب اختلافهم وجود صحف كتبها بعض الصحابة لأنفسهم، ولم يكن بينهم الكتاب الذي جمعه أبو بكر واحتفظ به عنده حتى وصل إلى بيت حفصة يقول الطبري ت ٣١٠هـ: «لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون»^(١)

ولما بلغ الاختلاف عثمان بن عفان ؓ خطب في الناس قائلاً: «أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً ثم أخذ يستشير أصحابه فيما يفعل»^(٢) واستقر رأي الصحابة مع عثمان بن عفان على جمع المسلمين في شتى الأمصار على مصحف واحد وأمر بإحراق كل ما كتب الصحابة لأنفسهم ليضمن عدم اختلاف المسلمين في شأن القرآن بعد أن زاد اختلافهم حتى كفر بعضهم بعضاً عندما اختلفوا في القراءة.

المكلفون بجمع القرآن في عهد عثمان:

يروي ابن سعد ت ٢٣٠هـ أن محمد بن سيرين قال: إن عثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت^(٣) وقد عاونهما عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وغيرهم. ثم أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة يطلب منها «الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر لتكون المصدر الأول في هذا الجمع، فكان قصده من عمله إنما يريد أن يجمع الناس على مصحف واحد وهو مصحف أبي بكر، ويمنع الخلاف والفرقة»^(٤)

وقد أرسل عثمان بن عفان إلى كل إقليم بنسخة من الكتاب حتى وصل عدد النسخ سبع نسخ وزعت على الأمصار، ولما اطمأن عثمان إلى وصول المصاحف إلى الأقاليم، «أمر بها سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»^(٥)

(١) السابق / ٥٨

(٢) موسى شاهين: اللائح الحسن / ٦١

(٣) الطبقات الكبرى ٣ / ٥٠٢

(٤) الشنقيطي: الكلمات الحسن / ٥١

(٥) الداني: المقنع / ٦

إن عثمان ؓ لم يحرق المصحف الإمام الذي كتب في عهد أبي بكر وهو المنقول عن المكتوب بين يدي النبي ﷺ ولكنه أحرق مصاحف الصحابة التي كتبوها لأنفسهم لمراجعتها، وقد وضع كل منهم على حواشيتها تفسيرات وتعليقات لا يستطيع من لم يحفظ كتاب الله تعالى فصلها عن المكتوب من نص المصحف، وربما كان ذلك هو دافع عثمان ؓ لكي يجمع المسلمين على كتاب واحد هو المكتوب أمام النبي ﷺ والذي نسخ منه أبو بكر مصحفه فاعتمد عليه عثمان بن عفان في كتابة نسخ المصحف.

وأعاد عثمان ؓ مصحف أبي بكر إلى حفصة وفاءً بوعده لكي يظل هذا الكتاب مرجعاً عند الاختلاف، لأنه المصدر الوحيد للقرآن الكريم الذي سجل فيه القرآن بلا زيادة أو نقصان وظل هذا المصحف عند حفصة حتى وفاتها فأمر مروان بن الحكم ت ٦٥ هـ أمير المؤمنين بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ليرسلن إليه تلك الصحف فأرسل بها إليه فغسلت ثم شقت ثم أحرقت، وقال مروان مدافعاً عن وجهة نظره في إحراقها: «إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو أن يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب»^(١)

وهكذا حفظ القرآن في المصحف وفي الصدور وسيظل محفوظاً إلى يوم القيامة، وهذا الإعجاز دعا كثيراً من المستشرقين إلى الاعتراف بأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم تنله يد التغيير يقول: موير: إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد، حتى وصل إلينا بدون أي تحريف.^(٢)

سمات مصحف عثمان :

يجمع مصحف عثمان ؓ المزايا والسمات التالية:

١ - الاعتماد على ما ثبت بالتواتر عن النبي ﷺ ومطابقته بالمكتوب والمحفوظ في عهد النبي ﷺ.

٢ - ترتيب القرآن إلى سور وفق الترتيب المعروف اليوم وهو توقيفي عن النبي ﷺ وفق العرض القرآني عام الوفاة.

(١) ابن أبي داود: المصاحف / ٣٢

(٢) محمد الطاهر الكروى : تاريخ القرآن / ٦٩

٣- تجريد المصاحف من كل ما خطه الصحابة لأنفسهم على سبيل التفسير والشرح لبعض الآيات الكريمة.

٤- اشتماله على جميع القراءات الصحيحة عن النبي ﷺ وفق الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم، فإذا كان في الكلمة أكثر من قراءة رسمت بطريقة تحتمل القراءتين معا.

اختلاف الرسم العثماني عن خط رسائل الرسول ﷺ

يجب أن يعي كل ذي عقل راجح أن الخط العثماني خط توقيفي على كتاب الله تعالى يصون له إعجازه، ويجعله دائم التجدد بالعطاء الرباني والفيض الإلهي على كل من تدبره لأنه سيظل معجزة خالدة باقية.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الرسائل التي كتبت أمام النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى أرجاء الأرض لنشر الإسلام كتبت بخط يختلف عن الرسم العثماني رغم تزامنها، وهذا لا يأتي من فراغ ولكن لعله ستظل تندفق بالإيحاء والإعجاز على مر العصور.

اختلاف الخط في رسالة هرقل عن الرسم العثماني:

إذا أمعنا النظر في رسالة النبي ﷺ إلى هرقل نرى اختلافا كبيرا في الرسم الإملائي للرسالة والرسم العثماني للكلمات نفسها في القرآن الكريم، وهذا لا بد أن يكون وراءه سر يجب تأملُه ومعرفة حقيقته.

فكلمة «سلام» رسمت هكذا في الرسالة وهي في الرسم العثماني بلا ألف في كل المواضع التي وردت فيها حيث وردت ٤٢ مرة نحو: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر/ ٥

وكذلك كلمة الإسلام كتبت في الرسائل بالرسم الإملائي وفي المصحف رسمت بلا ألف ٨ مرات نحو: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران / ١٩

وفي رسالة النبي ﷺ إلى الحبشة للنجاشي جاءت عبارة: إن عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول «وذكرت كلمة ألقاها بالرسم العثماني ووردت في القرآن الكريم بدون ألف في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾

ووردت كلمة «الكافرين» بالألف في رسالة النبي ﷺ إلى ابني الجلند، ووردت في الرسم العثماني ٨٤ مرة بدون ألف وإذا نظرنا في المصحف نفسه نرى أن أسماء السور كتبت بالرسم الإملائي وليس العثماني وإذا تأملنا الكلمة نفسها نجد أنها وردت في صورتين: الأولى داخل الآيات بالرسم العثماني والثانية بالخط الإملائي في أسماء السور نحو: الصفات فهي في الرسم العثماني.

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ الصفات ١، وكذلك الذاريات، والحجرات والمنافقون والطلاق والقيامة والانسان وغيرها فقد وردت هكذا ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الذاريات ١ / ١، ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ المنافقون ١ ﴿أَلَطَّلِقُ مَرَّاتَانِ﴾ البقرة ٢٢٩.

فلا بد أن هذا الاختلاف له حكم عظيمة سوف نتناولها في مبحث لاحق إن شاء الله تعالى
فنسأل الله العون والتوفيق والسداد

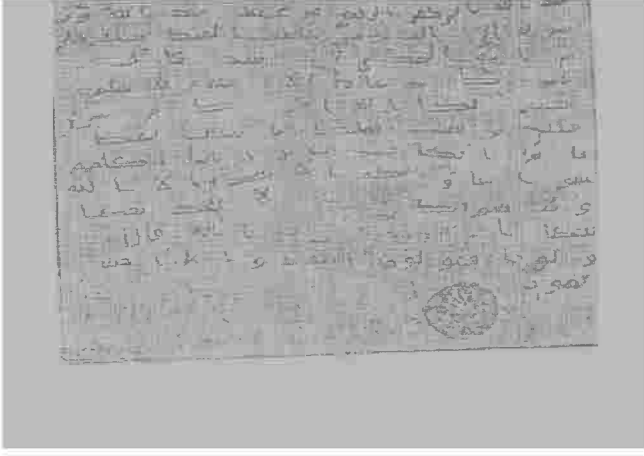
كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ور
سوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على
من اتبع الهدى ❖ أما بعد فإني
أدعوك بدعاية الإسلام أسلم
تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين
فإن تو ليت فعليك إثم كل القبط
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فإن
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

محمد رسول الله

وهذه صور بعض رسائل النبي ﷺ :

أرسل النبي ﷺ كتابه إلى المقوقس، عظيم القبط في مصر - مع حاطب بن أبي بلتعة، سنة ستة من الهجرة. وزعم بعض المستشرقين أنهم وجدوا النسخة الأصلية للكتاب في الصعيد^(١) وصورتها:

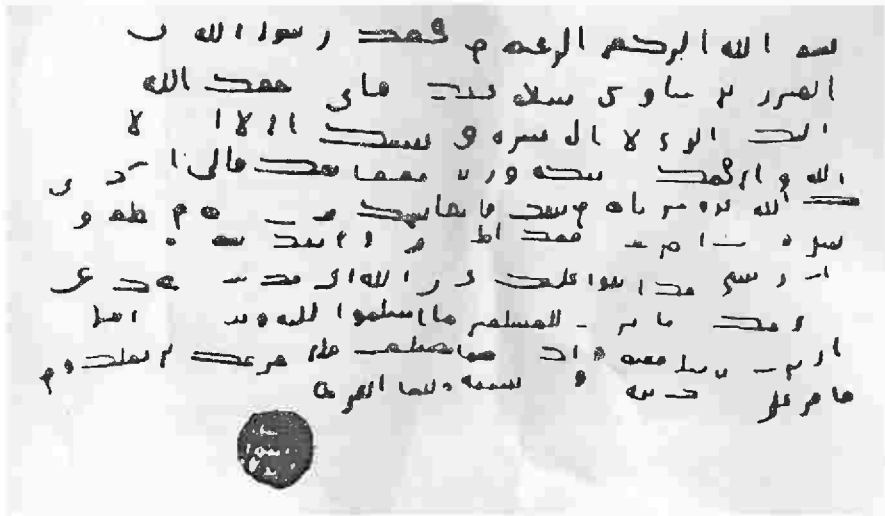


ونصها:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله
- ٢- ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على
- ٣- من اتبع الهدى أما بعد فإني
- ٤- أدعوك بدعاية الإسلام أسلم
- ٥- تسلم يؤتلك الله أجرک مرتين
- ٦- فإن توليت فعليك إثم كل القبط
- ٧- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
- ٨- سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
- ٩- ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
- ١٠- بعضاً أرباباً من دون الله فإن
- ١١- تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

(١) راجع مجلة الهلال . سنة ١٣ ص ١٠٣ و ١٦٠

وأرسل الثانية إلى المنذر بن ساوي العبيدي صاحب البحرين، حملها إليه العلاء ابن الحضرمي، وكتبت إليه رداً على رسالة منه إلى الرسول عندما دعاه إلى الإسلام وصورتها:



ونصها:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى
- ٢- المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أحمد الله
- ٣- إليك الذي لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله
- ٤- وأن محمداً نبيه ورسوله أما بعد فإني أذكرك
- ٥- الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وأنه من يطع
- ٦- رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن ينصح لهم فقد نصح لي
- ٧- وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في
- ٨- قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل
- ٩- الذنوب فاقبل منهم وإنك تصالح فلن نغزلك عن عملك
- ١٠- ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

أسباب اختلاف القراءة فيما يحتمله خط المصحف

قرأ الصحابة القرآن الكريم بما تلقوه من النبي ﷺ وعلموا قومهم ما تعلموه من النبي ﷺ وكان الصحابة لا ينكرون قراءة بعضهم بعضاً، وإن كانت مخالفة لما تلقاه الصحابي من رسول الله ﷺ لأن النبي ﷺ قال:

«نزل القرآن على سبعة أحرف كل شاف كاف»

فلما توفي النبي ﷺ وتفرق الصحابة في الأمصار، واستمعوا قراءات مخالفة لما تلقوه من رسول الله ﷺ فأنكر بعض الناس قراءة بعض، واختلفوا فيما بينهم، يقول مكي بن أبي طالب: فإن سأل سائل: ما السبب الذي أوجب أن تختلف القراءة فيما يحتمل خط المصحف، فقرأوا بألفاظ مختلفة في السمع والمعنى واحد، نحو جُدوة وجُدوة وجُدوة^(١)

وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيْٓ ءَاتِيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جُدُوْۓۙ مِنْ اَلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَ﴾ القصص ٢٩. ويرجع سبب الاختلاف إلى القراءة قبل ضبط المصحف، فالشكل يحتمل القراءات الثلاثة وكلمة جدوة المختلف فيها هي عود تؤخذ فيه النار ويقال: جدوة وجدوة وهي صحيحة لغوياً.

وفي حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وهو حديث مشهور حيث احتكما إلى النبي ﷺ في القراءة حول آية كريمة اختلف في قراءتها، فأخذ بتلاييه وقاده إلى النبي ﷺ «فاستقرأ كل واحد منها فقال له: أصبت - ثم قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا بما شئتم»

شروط قبول القراءة:

يشترط في القراءة ثلاثة أمور:

- ١- أن تنقل عن الثقات حتى تتصل بسندها إلى سول الله ﷺ
- ٢- أن تكون موافقة لخط المصحف العثماني ولو بوجه.
- ٣- أن تكون موافقة للغة العرب التي نزل القرآن موافقاً لها

(١) مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات: نهضة مصر / ١٤

نزل القرآن على سبعة أحرف

معنى الحرف:

الحرف هو الوجه يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحج/ ١١
ويقول الراغب الأصفهاني: حرف الشيء طرفه، وجمعه أحرف حروف، يقال: حرف
السيف، وحرف السفينة، وحرف الجبل: وحروف الهجاء: أطراف الكلمة. (١)

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

أى سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة
أوجه، وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، ولكن المعنى أن هذه اللغات السبع متفرقة في
القرآن» (٢)

ويقول ابن سيدة: «والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله
عليه السلام: «نزل القرآن على سبع أحرف كلها شاف كاف أراد بالحرف اللغة، قال أبو عبيدة
وأبو العباس (٣): نزل القرآن على سبع لغات من لغات العرب، قال: «ولكن يقول: هذه
اللغات متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة أهل اليمن و هوازن، وبعضه بلغة
هذيل وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحد» (٤)

ومعنى ذلك أنه ليس يشترط أن تقرأ كل كلمة في القرآن على سبعة أوجه، ولكن اللغات
السبعة متفرقة في القرآن الكريم كاملاً.

أوجه الاختلاف في الأحرف السبعة:

والكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

- ١ - اختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.
- ٢ - اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

(١) مفردات القرآن : مادة : حرف

(٢) مناع القطان : نزول القرآن على سبعة أحرف : مكتبة دهب ط ١٩٩١ / ٣٠

(٣) محمد بن يزيد الأزوي ، وأبو العباس "المبرد" ت ٢٨٦ هـ

(٤) نزول القرآن على سبعة أحرف / ٣١

- ٣- اختلاف وجوه الإعراب
- ٤- الاختلاف بالنقص والزيادة
- ٥- بالتقديم والتأخير
- ٦- الاختلاف بالإبدال
- ٧- اختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك.^(١)

الأحرف السبعة اصطلاحاً :

اتفق العلماء على نزول القرآن الكريم على سبعة أوجه واستدلوا بحديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٢)

وعن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرها رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنها فقال لي: يا أباي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إلى الثانية: أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلى الثالثة أقرأه على سبعة أحرف.^(٣)

حقيقة الأحرف السبعة: انقسم العلماء فريقين في تحديد المقصود بالأحرف السبعة: الفريق الأول يرى أصحابه أن المراد بالسبعة حقيقة العدد سبعة، وقالوا في تحديد مفهوم الأحرف السبعة أنها لغات أو لهجات نزل بها القرآن وكثرت في القرآن عن غيرها من اللهجات الأخرى فمن اللهجات التي كثر ورودها: قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

والفريق الثاني يرى أن الأحرف السبعة هي الأوجه اللفظية التي نزل بها القرآن

(١) الزرقاني: مناهل العرفان ١/ ١٣٦

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الفضائل فضائل القرآن ٦/ ١٠٠

(٣) "مسلم: كتاب صلاة المسافرين ١/ ٥٦١

واختلفوا في تعيينها ومنها الاختلاف في الإعراب، والاختلاف في صورة الكلمة نحو ننشرها ونشرها أو طلع وطلح، أو الاختلاف بالتقديم والتأخير أو الزيادة والنقصان.

هل الأحرف السبعة هي القراءات السبعة؟

القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ وقرأه على الصحابة، وحفظوه في صدورهم وكتب عند رسول الله ﷺ حتى وفاة النبي ﷺ فجمعه أبو بكر في مصحف مرتب على الطريقة التي جمعه عليها رسول الله ﷺ ثم جمع في عهد عثمان بن عفان نسخا للمصحف الإمام ووزع على الأمصار فكان القرآن الكريم على هذا الرسم يحتل قراءات مختلفة، ولم يكن المصحف معجماً أي منقوط الحروف ولا مشكولاً حتى اختلف الأعراب مع غيرهم من أهل الحضر في القراءة، وبدأ اللحن يظهر في اللغة فأمر عمر بن الخطاب أبا الأسود الدؤلي بأن يضبط القرآن الكريم بالشكل وقال له: انح هذا النحو حتى ضبط المصحف ليمنع اللسان من الخطأ أما القراءات فقد ظهرت فيما بعد وفاة النبي ﷺ فليس لها علاقة بالأوجه السبعة وإن كانت تبدو في وجوه الاختلاف في بنية الكلمة بالتشديد والفلك والضبط والزيادة والنقصان وغيرها.

قال أبو شامة: وقد ظن جماعة ممن لا خبرة لهم بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف فقراءة كل واحد من هؤلاء على حرف من تلك الأحرف ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنه قال ذلك.^(١)

آراء العلماء في صور الأحرف السبعة:

١- نبديل الأدوات:

فمن هذه الاختلافات تبديل الأدوات كقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

المبين﴾ النمل / ٧٩

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء / ٨١

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الشمس / ١٥

(١) المرشد الوجيز / ١٤٦، ابن مجاهد: صاحب السبعة في القراءات تحقيق شوقي ضيف وقد نشرته وار المعارف بمصر.

٢- الإفراد والجمع:

ومنها الإفراد والجمع كقوله تعالى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ المائدة / ٦٧

فتقرأ رسالته أو رسالاته

وقوله تعالى: ﴿كَطَى السَّجِلَ لِلْكِتَابِ﴾ الأنبياء / ١٠٤

فتقرأ الكتب أو الكتاب

٣- التذكير والتأنيث:

ومنها التذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ البقرة / ٤٨

فتقرأ «يقبل أو تقبل»

وقوله تعالى: ﴿توفاه رسلنا﴾ الأنعام / ١٦١ فتقرأ «توفته أو توفاه»

٤- الاستفهام والخبر:

ومنها الانتقال بين الخبر والإنشاء أو الاستفهام والإخبار ويترتب على ذلك اختلاف

نغمة القراءة مما ينشأ عنه اختلاف المعنى كقوله تعالى: ﴿أَعْجَمِي وَعَرَبِي﴾ فصلت / ٤٤ فتقرأ بالاستفهام وبالخبر أيضا

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ النمل / ٦٧ تقرأ بالاستفهام إنا لمخرجون؟

وبالإخبار أيضا واختلاف النطق بالتنغيم يظهر اختلاف المعنى بين الاثنين.

٥- التشديد والتخفيف:

ومن ذلك أيضا: التشديد والتخفيف حيث تقرأ الكلمة مشددة مرة ومخففة مرة أخرى

فيختلف المعنى في الأمرين لأن اختلاف المبني ينشأ عنه اختلاف المعنى كقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة / ١٠ وتقرأ بالتخفيف أيضا يكذبون.

٦- التقديم والتأخير:

ومن ذلك أيضا التقديم والتأخير كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ الأنعام / ١٣٧

فتقرأ أيضا «قتل أولادهم شركائهم»

٧- النفي والنهي:

ومنها أيضا النفي والنهي أو التبادل بين النفي والنهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة / ١١٩ تقرأ بالنهي ﴿لَا تُسْأَلُ﴾ وبالنفي ﴿لَا تُسْأَلُ﴾ وكذلك ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف / ٢٦ فتقرأ: لا تشرك بالجزم بعد لا الناهية، وبالنفي لا تشرك بعد لا النافية فيكون الفعل مرفوعا.

٨- الأمر والخبر:

ومنها أيضا الانتقال بين فعل الأمر أو صيغة الأمر وصيغة الإخبار كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة / ١٢٥ فتقرأ بفعل الأمر ﴿اتَّخِذُوا﴾ وبالفعل الماضي ﴿اتَّخِذُوا﴾ أي بكسر الخاء على الأمر أو فتحها على الإخبار.

٩- اختلاف حركة الإعراب:

وينشأ عن اختلاف حركة الإعراب اختلاف المعنى كقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة / ٦ بالجر والنصب، فتكون بالنصب معطوفة على المغسول وبالجر معطوفة على المسحوق فينشأ عنها الحكم بجواز المسح على الرجلين أو الخفين.

١٠- الانباع ونركه:

ومن ذلك الاختلاف الإبتاع بضم النون والذال والتاء لالتقاء الساكنين إبتاعا بضم ما بعدهن وكسرهن للساكنين أيضا من غير إبتاع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آسْتِزِي﴾ الأنعام / ١٠ فتقرأ لقد بالكسر أو الضم.

١١- اختلاف اللغات:

ينشأ اختلاف النطق لاختلاف اللغات نحو ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ البقرة ٩٨ وتقرأ بفتح الجيم أيضا ﴿جبريل﴾ بفتح الجيم والراء مع الهمز، وكذلك ﴿مِيكَئِلُ﴾ البقرة / ٩٨ فتقرأ ﴿ميكائيل﴾ بالهمز من غير ياء وبالهمز وبالياء.

١٢- الإظهار والإدغام والمد:

ومنها التصرف في اللغات بالإظهار والإدغام والمد والقصر والإمالة والإشمام والروم

عند الوقف على أواخر الكلم والسكوت على الساكن قبل الهمز كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ طه / ٩

حيث تقرأ بالفتح والإمالة في ﴿أتى﴾ و﴿موسى﴾

وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾ القيامة / ٤

حيث تقرأ بالفتح والإمالة في ﴿بلى﴾

ويرى ابن قتيبة أن المراد بالأحرف السبعة^(١) الأوجه التي يقع بها التغير بين الكلمات كتغير الحركة أو الفعل أو اللفظ أو إبدال حرف أو زيادة أو نقصان أو إبدال كلمة ويشير إلى ذلك بتقديم أمثلة على ما يقول مثل:

١- ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته: ويضرب له مثالا بقوله: ﴿لا يضار﴾ بالفتح والضم وهو يشير إلى كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ البقرة ٢٨٢ /

٢- ما يتغير بالفعل: ويكون باللفظ الطلب أو الدعاء والإخبار ويستشهد بقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ سبأ / ٩ فتقرأ بفعل الأمر الدعائي باعد أي نتمنى أن تباعد أو تدعوك أن تباعد كما تقرأ بالفعل الماضي على سبيل الإخبار.

٣- تغير اللفظ: ومن شواهد تغير اللفظ ننشرها أو ننشرها في قوله تعالى:

﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ آلِ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ البقرة / ٢٥٩

٤- التغير بالإبدال لقرب المخرج: كقوله تعالى ﴿وَطَلَحَ مَنُضُودٌ﴾ الواقعة / ٢٩

تقرأ: طلع وطلح بالحاء أو العين

فينتج عن اختلاف اللفظ لفظ آخر يتحول معه المعنى إلى معنى جديد كقوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ و﴿مَالِكٍ﴾ والسرائط، الصراط، والزراط، وغيرها وهي أوجه يحتملها الرسم العثماني للكلمة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون / ٨ فتقرأ: لأماناتهم بالجمع ولأمانتهم بالأفراد، والرسم العثماني يحتمل ذلك

(١) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة

وكقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيِّنَاتِنَا أَتُفَارِقُنَا﴾ سبأ/ ١٩ قرئ بنصب لفظ رَبَّنَا على أنه منادى، وباعد فعل أمر غرضه الدعاء، وقرئ رَبَّنَا بَعْدَ بَرَفٍ ﴿رب﴾ على الابتداء، وبعد فعل ماضٍ.

يقول أبو العباس المقرئ^(١) في شرح الهداية: أصح ما عليه لحدائق النظر في معنى ذلك إنما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، وتفسير ذلك أن الحروف السبعة التي أخبر النبي ﷺ أن القرآن نزل عليها تجري على ضربين: أحدهما: زيادة كلمة ونقص أخرى، وإبدال كلمة فكان أخرى، وتقديم كلمة على أخرى، وذلك نحو ما روى بعضهم: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج»^(٢).

ويرى الباحث أن جملة « في مواسم الحج » من تفسير أصحاب المصاحف الخاصة التي كتبت في عهد النبي ﷺ وقد أحرقتها عثمان بن عفان وجمع الناس على المصحف الإمام الذي تكفل الحق بحفظ القرآن به فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر / ٩ ولذلك لا يجوز لأي إنسان أن يضيف حرفا واحدا إليه أو ينتقص منه حركة.

والضرب الثاني: ما اختلف القراء فيه من إظهار وإدغام وروم وإشمام وقصر ومد، وتخفيف وشد وإبدال حركة بأخرى، وياء بباء وواو بفاء وما أشبه ذلك من الاختلاف المتقارب، وهذا الضرب هو المستعمل في زماننا هذا وهو الذي عليه خط المصاحف، فثبت بهذا أن هذا القراءات التي تقرأها هي بعض من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، استعملت لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة وترك سواها من الحروف السبعة لمخالفتها خط المصحف.^(٣)

اختلاف الأوجه السبعة عند ابن الجزري^(٤)

يقسم ابن الجزري الاختلاف في الأوجه السبعة من خلال تقسيمه القراءات إلى سبعة أوجه منها:

(١) أحمد بن عمار المقرئ، مفسر نحوى من أهل المهدية بتونس ت ٤٤٠ هـ.
(٢) سليمان معرفي: في علوم القرآن: مجلس النشر الكويت ط ٢٠٠٣ / ٢٣٤
(٣) السابق / ٢٣٤
(٤) النشر في القراءات العشر / ٢٣

١- في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو «البخل» بأربعة أوجه ويحسب بوجهين.

فتقرأ البَخَل: البخل أو البُخْل بضم الباء وسكون الخاء أو بفتح الباء والحاء بخلا وبخلا بضم الباء وفتحها وهي صحيحة في اللغة.

٢- التغير في المعنى فقط نحو: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ البقرة / ٣٧ برفع ﴿آدَمُ﴾ ونصب الكلمات أو العكس فيختلف معناها المعنى.

٣- وتبادل الحروف كالصاد والسين في بصطة - بسطة «والصرط والسرائط».

وقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة / ٢٤٧

وقوله تعالى: ﴿أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة / ٥

٤- التقديم والتأخير نحو:

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ التوبة / ١١١ بفتح ياء المضارعة مع بناء الفعل للمجهول في إحدى الكلمتين ﴿وبضمها مع بناء الفعل للمفعول في الكلمة الأخرى.

٥- الزيادة والنقصان نحو: «ووصى، أو أوصى في قوله تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ البقرة / ١٣٢

الحكمة من إنزال الأحرف السبعة:

تبدو الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف التخفيف على الأمة الإسلامية وتيسير تلاوة كتاب الله تعالى يقول ابن قتيبة: «فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ أن يقرئ كل أمة بلغتهم - أي كل قبيلة - وما جرت به عادتهم، فالهذلي يقرأ: «عنى عين» يريد «حتى حين» ولأسدى يقرأ «يعلمون ونعلم وتسود وجوهه وألم إعهد» بكسر حروف المضارعة في ذلك كله، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: «قيل لهم» و«غيبض الماء» بإشهام الضم مع الكسر و«بضاعتنا ردت إلينا» بإشهام الكسر مع الضم و«مالك لا تأمنا» بإشهام الضم مع الإدغام.^(١)

(١) تأويل مشكل القرآن / ١٧٧

ويقول أيضا: «ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا ويافعا وكهلا لا شتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولا يمكن إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات، كتييسر عليهم في الدين.^(١)»

هل الأحرف السبعة موجودة بالمصحف العثماني؟

الجمهور من السلف والخلف يرون أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة المعرضة الأخيرة التي عرضها جبريل علي النبي ﷺ ويرى ابن جرير الطبري وأبو جعفر الطحاوي وغيرهما أن المصاحف العثمانية لا تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة، ويرون أن هذه الحروف السبعة كانت في صدر الإسلام أيام الرسول ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر، وصدر من خلافة عثمان، ثم رأت الأمة بقيادة عثمان أن تقتصر على حرف واحد من السبعة جمعا لكلمة المسلمين، فأخذت به وأهملت كل ما عداه من الأحرف الستة.^(٢)

ويرى الباحث أن الأحرف السبعة أو الوجوه السبعة موجودة في كتاب الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن عثمان بن عفان قد رسم المصحف ووزعه على الأمصار وفق الرسم الذي خطه كتاب المصحف أمام النبي ﷺ وهو الرسم الموافق للمعرضة الأخيرة للقرآن الكريم وقد وصل الرسم إلى عثمان ﷺ فأمر بنسخه كما هو وقد قام بهذا العمل زيد بن ثابت كاتب الوحي في عهد الرسول ﷺ مع فريق من الصحابة يتبعون أمره في هذا العمل العظيم.

فإذا نظرنا في الرسم العثماني الموجود في متناول الجميع ولا يخلو منه بيت مسلم نرى أن الرسم يحتمل هذه الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وأن الاختلاف يكون اختلافا بسيطا يهدف إلى التيسير وإن كان المعنى يتغير معه تغيرا دقيقا ليناسب هذا التغير ولا يخرج عن جهته إلى جهة محرمة أو مكروهة أو غير ذلك.

ولننظر في أمور الاختلاف لنرى كيف يتسع الرسم لذكر الأحرف السبعة التي نزل

(١) السابق/١٢٧

(٢) الزرقاني: مناهل العرفان ١/١٤٦

عليها القرآن الكريم، ومن شواهد ذلك:

١ - اختلاف وجوه الإعراب: كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ البقرة / ٢٨٢ بفتح الراء وضمها يقول الأزهرى: قوله عز وجل ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ له وجهان: أحدهما لا يضار فيدعى إلى أن يكتب وهو مشغول، والآخر أن معناه: لا يضار الكاتب أي لا يكتب إلا بالحق، ولا يشهد الشاهد إلا بالحق، ويستوي اللفظان في الإدغام، وكذلك قوله: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ البقرة / ٢٣٣.

يجوز أن يكون لا تضار على تفاعل وهو أن ينزع الزوج ولدها منها، فيدفعه إلى مرضعة أخرى، ويجوز أن يكون قوله: ﴿لَا تضار﴾ معناه: لا تضار الأم ولأب فلا ترضعة. (١)

٢ - الاختلاف بالتقديم والتأخير: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ وعدًا عليه حقًا التوبة / ١١١، قرئ الفعل بالبناء للفاعل في الأول، وللמفعول في الثاني وقرئ بالعكس ورسم المصحف لا يتغير بل يتغير الشكل في يقتلون.

٣ - الاختلاف بسبب تباين اللهجات فيوافق الرسم موافقة تامة نحو: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ طه / ٩ فإنها رسمت هكذا بياء في الفعل بعد التاء، وبقلب ألف موسى ياء من غير شكل ولا إعجام.

٤ - اختلاف الكلمة بالإفراد والجمع: كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون / ٨، فتقرأ «لأماناتهم ولأمانتهم» بالجمع والإفراد، والرسم يوافق القراءتين

٥ - اختلاف تصريف الأفعال: كقوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾ الأعراف / ١٣٨، تقرأ بكسر الكاف وضمها في الفعل ﴿يَعْكُفُونَ﴾ والرسم يوافق القراءتين ويختلف الشكل لأن المصحف لم يكن معجماً ولا مشكولاً.

القراءات سنة متبعة:

إن القراءة سنة متبعة لا تعتمد على موافقة الرسم أو موافقة اللغة العربية ولو بوجه فإننا نرى كلمات كثيرة في القرآن الكريم توافق العربية والرسم ولا تقرأ إلا بوجه واحد منقول عن النبي ﷺ فكلمة «خطف» في اللغة نقول: خَطَفَ يَخْطِفُ، وَخَطِيفٌ يَخْطِيفُ ولكن القراء لم

(١) لسان العرب مادة: ضرر

يقرأوا إلا بفتح الطاء « يخطف » فلو كانت القراءة بها يحتمله رسم المصحف لقرؤوها بالوجهين فرسم المصحف يحتمل ذلك، ولكن القراءة سنة متبعة ولم ترد يخطف بكسر الخاء في السنة المتبعة ولذلك لم يقرأوا بها. وكذلك يجوز في « الرضاعة » فتح الراء وكسرها ولم نجدها عند القراء إلا مفتوحة رغم أنها صحيحة لغويا والرسم يحتملها ولكن القراءة سنة متبعة فيجب الالتزام بها وفي هذا رد على افتراء جولد تسيهر في قوله: إن إغفال الحركات في الخط العربي كان سببا في الأوجه المختلفة للقراءات.

يقول ابن عطية أجمع القراء على ضم الميم من كلمة « مُكَّث » في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء / ١٠٦

واللغة تجوز في الميم الضم والكسر والفتح، ولم يقرأ واحد من القراء الأربعة عشر إلا بضم الميم « مُكَّث » والرسم يحتمل القراءات الثلاثة واللغة كذلك تجيزها ولكن القراءة سنة متبعة وليست متبدعة. ولو كان الأمر راجعا إلى رسم المصحف لصحت كل قراءة يحتملها الرسم ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية، ولكن الأمر جرى على إتباع ما ورد عن النبي ﷺ فلا مجال للافتراء عليه ﷺ.

ولو قرأ قارئ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ طه / ٦٩ وقرأ كلمة « كيد » بالنصب على أنها مفعول به للفعل « صنع » لجاز ذلك والرسم يحتملها، ولكننا لم نرى قارئاً يقرأها إلا مرفوعة وفي ذلك دليل على أن القراءة سنة متبعة وليست وفق احتمالات الرسم ولا وفق موافقتها اللغة العربية ولو بوجه.

يقول الأصمعي: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر / ٤٩ قال المازني: سيويوه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر وأنه ليس هاهنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، فنحن نقرأها لذلك إتباعا، لأن القراءة سنة ﴿^(١)﴾

إذن فالقراءات سنة متبعة منقولة عن النبي ﷺ لا يصح الخروج عليها أو الابتداع فيها حتى لو وافقت العربية ورسم المصحف طالما لم يأت لها سند عن النبي ﷺ.

ضبط المصحف

مفهوم الضبط:

الضبط لغة: بلوغ الغاية في حفظ الأشياء، وضبط الكتاب أحكم حفظه بما يزيل عنه الإشكال.

الضبط اصطلاحاً: علامات مخصوصة تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة أو سكون أو مد أو تنوين أو شد... الخ وهو بمعنى الشكل أي إزالة الإشكال والالتباس

نقط المصحف:

نقط المصحف: وضع علامات دالة على ما يعرض للحرف من حركات وينقسم قسمين:

أ - نقط إعراب: وهو وضع نقاط تدل على ما يعرض للحرف من حركات
ب - إعجام: وهي نقاط توضع فوق الحرف أو تحته لتمييزه عن غيره كالياء والتاء والنون والظاء والشاء.

متى بدأ نقط المصحف؟

كانت المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة، ورغم ذلك كان المسلمون لا يجدون صعوبة في قراءتها بغير نقط أو وضع علامات الشكل، لأنهم كانوا يتلقون القراءة عن النبي ﷺ ويحفظونها شفاهة، وكانت سليقتهم صحيحة، وفطرتهم نقية فلم يحتاجوا إلى وضع نقاط أو شكل ولكن عندما اختلط العرب بالعجم، وحدث الخلط واللحن في اللسان العربي بدت الحاجة ماسة إلى شكل المصحف وإعجام الفروق حتى لا يحدث اللحن والخطأ في قراءة القرآن الكريم.

أسباب النقط والإعجام:

روى أبو عمر الداني ت ٤٤٤ هـ عن محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو عكرمة قال: قال العتبي: كتب معاوية رضي الله عنه إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلم قدم عليه كلمة فوجده يلحن فردّه إلى زيادة وكتب إليه كتاباً يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟ فبعث زياد إلى أبي الأسود الدؤلي ت ٦٩ هـ فقال: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء -

الأعاجم - قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى؟

فأبى أبو الأسود ذلك، فوجه زياد رجلاً فقال له: أقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مربك فاقراً شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾. التوبة / ٣

وقرأ بجر كلمة «رسوله» فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله وأن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث إلى ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد، فاختر منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف، وصبغاً يخالف لون المداد، فإن فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله فإذا أثبت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ المصحف حتى أتمه.^(١)

وظل هذه الجهد حتى جاء الخليل بن أحمد ت ١٧٠هـ فأدخل التحسينات على نقط المصحف فجعل «علامة الفتح ألفاً صغيرة مبطوحة؛ لأن الفتحة إذا أشبعت تولد منها ألف، وجعل علامة الضمة واو صغيرة، وعلامة الكسرة ياء صغيرة وجعل علامة التشديد رأس الشين، وعلامة السكون رأس الخاء.»^(٢)

نقط الإعجام: وهي النقط التي تفصل بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والطاء والظاء وغيرها فهذا من عمل يحيى بن يعمر ت ٩٠هـ، ونصر بن عاصم ت ٩٠هـ وقد كلفهما بهذا العمل الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق بتكليف من عبد الملك بن مروان ت ١٣٣هـ. وقد قاما بنقط الحروف المتشابهة في الرسم للتمييز بينها، وكتبت هذه النقط بمداد لونه لون المداد الذي كتب به المصحف حتى يكون مخالفاً لنقط أبي الأسود الدؤلي.^(٣)

(١) أبو عمرو الداني: الحكم / ٤

(٢) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن ٤ / ١٦٢

(٣) الحكم / ٨٧

رسم القرآن أمام النبي ﷺ

الحكمة من كون النبي أمياً:

لقد كان النبي أمياً لا يقرأ ولا يكتب قبل نزول الوحي عليه لحكمة عظيمة يوضحها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت/ ٤٨

فلو كان قارئاً أو كاتباً لشك المبطلون من اليهود وقالوا إنه مذكور عندنا في التوراة أنه أمي، ولقال بعضهم إنه هو الذي كتب هذا القرآن من عنده فافتضت حكمة الله تعالى أن يأتي هذا الأمي بالذكر الحكيم من عند الله تعالى ويكون منزها عن الاتهامات والأباطيل.

هل تعلم النبي ﷺ القراءة والكتابة؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال نقول: إن أول اتصال السماء بالأرض وأن ابتداء الوحي كان بكلمة «اقرأ» في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/ ١ فكان أول اتصال من السماء بالنبي ﷺ اقرأ باسم ربك وبقدرته فليس بعجيب أن يقرأ النبي ﷺ وأن يتعلم بقدرته الله تعالى الذي علم بالقلم وأن يفوق أعلام المتعلمين ولذلك خاطبه الحق سبحانه وتعالى مذكراً إياه بنعمه العظيمة عليه قائلاً: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ النساء/ ١١٣

وبذلك علم الحق سبحانه وتعالى نبيه ﷺ وأتم عليه النعمة، وأكمل الدين فكان صلى الله عليه وسلم خير معلم للبشرية.

أما عن تعلم الكتابة بالقلم وإرسال الرسائل المكتوبة بخط يده صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك حيث كان له كتاب للوحي والرسائل وكان يراجع ما كتبه بما علمه الله من فضله وظل كذلك حتى لا يكون هناك مجال للشك في صدقه وأمانته، فكان يملي عليهم الوحي ويراجع ما كتبه ويتلو القرآن في صلاته ويراجع أصحابه حتى كتب القرآن كاملاً وتمت مراجعته وفق العرضة الأخيرة في العام الأخير من حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

هل كان النبي ﷺ يراجع ما كتب؟

كان ﷺ يراجع الصحابة فيما كتبه من الوحي حتى يرى كل آية في موضعها من

السورة، وظل كذلك حتى راجع القرآن مرتين في العام الأخير من حياته ﷺ على مراجعة جبريل عليه السلام، ولذلك فقد رسم القرآن برسمه التوقيفي أمام النبي ﷺ وارتضاه وأقرهم عليه فكانوا حافظين لكتاب الله تعالى مدونين للقرآن على المواد الأولية للكتابة من جلود ورقاع وحجارة وسعف النخيل، مرتين القرآن الكريم حسب سوره وحسب الترتيب التوقيفي الذي أقرهم عليه النبي ﷺ.

ويرى الباحث ضرورة الإشارة إلى قضية تدعم قولنا بأن النبي ﷺ كان يراجع بنفسه ما كتب من القرآن الكريم بعد أن علمه الله تعالى ما لم يكن يعلم، فقد رأيناه ﷺ في صلح الحديبية يمحو ما خطه الصحابة من بنود معاهدة الصلح بين قريش وأهل مكة من ناحية وبين النبي ﷺ وأصحابه من جهة أخرى حيث لم يرض الكفار كتابة محمد رسول الله فمحاها النبي ﷺ وكتب من محمد بن عبد الله وكان الصحابة يعارضون ذلك ويقولون كيف نرضى الدنية في ديننا؟

القراءات السبعة وعلاقتها بالأحرف السبعة:

من يعتقد أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة فقد أبان عن جهله، وكشف النقاب عن قلة إدراكه، لأن هؤلاء القراء السبعة هم: ابن عامر وابن كثير وعاصم، وأبو عمرو وحزمة ونافع وأبو الحسن الكسائي.

وهؤلاء القراء السبعة لم يكونوا قد ولدوا حين ذكر النبي ﷺ الأحرف السبعة، فهل معنى ذلك أن حديث النبي ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف كان عاريا من الفائدة وبعيدا عن الواقع إلى أن ظهر هؤلاء القراء، وماذا فهم الصحابة إذن من الحديث؟»^(١)

هل هي سبع لغات أم سبع قراءات؟

قيل هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها، يمنها ونزارها، لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئا منها، وكان قد أوتي جوامع الكلم، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه وهو قوله: ﴿وَعَبْدَ الطَّغُوتِ﴾ المائدة / ٦٠، وقوله: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾

(١) أحمد سعد الخطيب: المعنى في ضوء القراءات / ٦

يوسف / ١٢ وقال أبو عبيد القاسم: إن عثمان قال لكتبة الوحي الذين كانوا ينسخون المصحف: «ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه نزل بلغتهم، وقال القاضي ابن الطيب رحمه الله معنى قول عثمان: فإنه نزل بلسان قريش يريد معظمه وأكثره ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزحرف / ٣ ولم يقل قرشياً، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب.^(١)

ويرى الباحث أن هذا الرأي أقرب للصواب من الآراء الأخرى، لأن القراءات القرآنية لم تكن معروفة أيام النبي ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين، وأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي جمعت لغة قريش معظم مفرداتها بسبب احتكاكها بالقبائل المختلفة، وبالأقطار المجاورة عن طريق التجارة ومواسم الحج، ورحلة الشتاء والصيف، فكانت قريش تأخذ من لغات القبائل الأخرى حتى انصهر ذلك كله في لغتها وأصبح من مفرداتها.

فإذا كانت القراءات تعتمد على توجيه المعنى وفق القراءة مع اختلاف الرسم أو احتمالات توافق الرسم ولو بوجه فإن ذلك ليس دليلاً على أن القراءات هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، ولكن جاء في القرآن من كل لغات العرب - أي لهجاتها - وساد فيه سبع لغات مشهورة ذكر عليها كثير من ألفاظ القرآن الكريم، وباقي اللهجات لا تشكل نسبة يعتد بها ولا تشكل ظاهرة يحكم عليها بالسيادة، ولذلك نزل القرآن بلغات العرب قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزحرف / ٣

ونرى في القرآن الكريم التعبير عن المعنى بلغات مختلفة نحو: «فطر» معناه عند قريش ابتداء يقول ابن عباس: ما كنت أعلم معنى فاطر حتى اختصم إلى أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الشورى / ١١

وما كنت أعرف معناه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ الأعراف / ٨٩

حتى سمعت بنت ذي يزن - بنت ملك حمير - تقول لزوجها: «تعال أفاتحك أي أحاكمك».^(٢)

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٥٥

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٥٦

درء الشبهات حول رسم المصحف

١- الادعاء بوقوع لحن في المصحف:

اللحن واللحنُ واللحانة، واللحانية: ترك الصواب في القراءة، ورجل لحن لحن ولحانة ولحنة: يخطئ، وفي المحكم: كثير اللحن^(١)

وقد اتخذ المغرضون من حديث سعيد بن جبير الذي يقول فيه: في القرآن أربعة أحرف لحن: ﴿وَالصَّيُّوْنَ﴾ و﴿وَالْقِيَمِينَ﴾ و﴿فَأَصْدَقَ﴾ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون ١٠ و﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَعِيرٌ﴾ طه / ٦٣

وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيُّوْنَ وَالنَّصْرَى﴾ المائدة ٦٩

وقوله تعالى ﴿وَالْقِيَمِينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ﴾ النساء ١٦٢

وقوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ﴾ المنافقون ١٠

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَعِيرٌ﴾ طه / ٦٣

وهم يشيرون إلى مواطن اختلاف سياق الآيات وينظرون إليها نظرة سطحية شكلية ويقولون إن بها كلمات بها خطأ ويزعمون أن الصحابة كانوا يعرفون هذا الخطأ ويقرونه وهذا لا يقول به إلا الشكليون الذين لا يتأملون القرآن ولا يتدبرون آياته، ولو تدبروا آياته لاهتدوا إلى الصواب ولفهموا أن قول عثمان بن عفان للصحابة عندما انتهوا من كتابة المصحف فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحن ستيمة العرب بألسنتها^(٢)

ويلاحظ الباحث أن ما جاء في هذه الرواية ضعيف الإسناد، وهو لم يصح عن عثمان بن عفان، ولا ينبغي أن يسند مثل هذا القول إلى رجل معروف بالتقوى والصلاح والحرص على كتاب الله تعالى، واجتماع الأمة على الحق يقول ابن الأنباري: فكيف يدعى عليه أنه رأى فساداً فأَمْضاه وهو يوقف على ما يكتب ويرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه، فيحكم بالحق

(١) لسان العرب : مادة لحن

(٢) المصاحف لأبي داود السجستاني / ٣٢.

ويلزمهم إثبات الصواب وتحليده»^(١)

وأما افتراؤهم على سعيد بن جبير وقولهم: إنه كان يقرأ: ﴿وَالْقِيمِينَ الصَّلَوَةَ﴾ النساء ١٦٢ ويقولون هو من لحن الكتاب. فان كلمة لحن يراد بها اللغة والقراءة وهو وجه صحيح من وجوه القراءة، روى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «إنا لنرغب عن كثير من لحن أبي» يعني لغة أبي.

ولحن القول: لغة القول ووجه قراءته وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ محمد ٣٠

ويرى الباحث أن نصب كلمة ﴿الْقِيمِينَ﴾ على سبيل المدح والتقدير أخص المقيمين الصلاة وهو وجه مشهور في القراءات وقد ورد في لغة العرب فالعرب تنصب على المدح عند تكرار العطف والوصف كقول الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجُزر
النازلون بكل معترك والطيبين معاقد الأرز

وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تُعمّ الأمور بذات الصليل وذات اللُجم

أما ادعاؤهم اللحن والخطأ في قوله تعالى: ﴿وَالصَّبِئُونَ﴾ المائدة / ٦٩ فالقراءة بالرفع على الابتداء والخبر محذوف، وحكم الصابئين لهم حكم جديد أو والصابئون حكمهم كذلك، وقد جاء في لغة العرب مثل ذلك كقول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

والتقدير فاعلموا أنا بغاة أنتم كذلك ومنه أيضا قول الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب
حيث أراد الشاعر أنه غريب وفرسه قيار كذلك لغريب

وأما ادعاؤهم اللحن في قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون ١٠

(١) الزرقاني: مناهل العرفان ١/ ٣٢٥

بجزم أكن فهو مجزوم في جواب الطلب، وهو كثير في لغة العرب والتقدير إن أخرتني أكن ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام / ١٥١، أما افتراؤهم وادعائهم اللحن في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرٌ إِحْنٌ﴾ طه / ٦٣ وهى قراءة متواترة قرأ بها نافع

وابن عامر وأبو بكر وحمزة الكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف^(١)

ولها رصيد في لغة العرب حيث يلزم المثنى الألف رفعا ونصبا وجرا وعليه قوله الشاعر:

يا ليت عيناها لنا وفاها	واها لسلمى ثم واها واها
بشمن يرضى به أباه	وموضع الخلخال من رجلاها
قد بلغا في المجد غايتها	إن أباه أباه أباه

وهى لغة بنى الحارث بن كعب^(٢)

٢- الادعاء بالخطأ في رسم بعض الكلمات:

يروى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا﴾ النور / ٢٧ أنه

قال: إن الكاتب أخطأ والصواب: حتى تستأذنوا^(٣)

إن المتتبع لحياة ابن عباس يرى أنه كان ملازما للنبي ﷺ في كل حياته وكان حريصا على أن يسجل كل شيء عن الرسول ﷺ وقد كان له مصحف خاص كان يراجع القرآن عليه كتبه مما سمعه من الرسول ﷺ وكان كالصحابة يسجل على جوانب المصحف تفسير بعض الكلمات حتى جاء عهد عثمان ؓ ونسخ المصحف ووزعه على الأمصار وأحرق كل مصاحف الصحابة فربما كتب ابن عباس على جوانب المصحف تفسير بعض الكلمات فقرأها بعض المسلمين المقربين منه على أنها من القرآن وهى ليست منه.

الأمر الثاني أن ابن عباس فسر ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ فقال: تستأذنوا من يملك الإذن من

أصحابها يعنى أصحاب البيوت^(٤)

(١) تحاف فضلاء البشر / ٣٠٤

(٢) الزرقاني : مناهل الرقاق / ٣٢٦

(٣) مسائل نافع بن الأزرق / ٢٦

(٤) السابق / ٣٢٦

وهذه رواية شاذة تخالف رسم المصحف ولذلك لا يلتفت إليها ومثل هذا الافتراء افتراء آخر على ابن عباس، وذلك لمكانته في العلم والنقل عن رسول الله ﷺ كثر الوضع عليه وهو منه براء حيث يروون عنه أنه قرأ ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الرعد / ٣١ قرأها «يتبين» فقليل له: إنها في المصحف: «يَيْئَسِ» فقال أظن الكاتب كتبها وهو ناعس.

والحقيقة أن هذا افتراء واضح على حبر الأمة وترجمان القرآن الكريم والرواية المذكورة في الدر المنثور غير صحيحة، وقد فسر ابن عباس ؓ «يَيْئَسِ» بمعنى «يعلم» في مسائل نافع بن الأزرق^(١)

وأثبت أنها على لغة هوازن واستشهد بقول الشاعر:

أقول لهم بالشعب اذ يأسروني ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

(١) تفسير غريب القرآن بالشعر العربي عند ابن عباس : د/ حمدي الشيخ : دار اليقين بالمنصورة/ ٣٣ .

وجوه الإعجاز البلاغي في الرسم العثماني

يجب أن نشير إلى أن أي تغيير في رسم الكلمة بالزيادة أو النقصان لابد أن يتبعه تغيير في المعنى، فكل اختلاف في الرسم العثماني يجب أن نقف أمامه متأملين حتى نهتدي إلى الحكمة التي وراء هذا التغيير، وسوف نتضح للباحث الفكرة على قدر إخلاص النية لله تعالى فنسأل الله التوفيق والسداد

أولاً: زيادة الألف:

تأتي الألف زائدة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ولها في كل موطن تُزاد فيه إعجاز دلالي يجب أن يعيه كل ذي لب بما فتح الله به عليه ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رُّوحِ اللَّهِ﴾ يوسف ٨٧ يقول السيوطي: زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً^(١) وعلى ذلك زيدت الألف لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار.

أحياء وأموات

في كلمة أحياء ذكر الألف بعد الياء ومدت لتدل على الامتداد، فهي تصور المعنى تصويراً دقيقاً من خلال امتداد الصوت الذي يدل على امتداد الحياة، وتعلق الإنسان بها، وقد ذكرت في القرآن الكريم كله بذكر الألف.

أما الموت وهو يوحى بانكماش الإنسان وتغيره، وزوال الحياة وانعدامها فقد جاءت الألف في كلمة «أموات» محذوفة وذكر مكانها ألف خنجرية تدل عليها وهي توحى بالسكينة والموت يقول تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة ١٥٤

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران ١٦٩

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/ ٢٦٦

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ فاطر

أريكُم - سأريكُم

وردت كلمة أريكُم على لسان فرعون مرة واحدة هكذا «أَرِيكُم»

ووردت كلمة سأريكُم بهذه الصورة ﴿سَأُورِيكُم﴾ بزيادة الواو بعد الألف وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذُوًا بِأَحْسَنَهَا سَأُورِيكُم دَارَ الْفَسِقِينَ﴾ الأعراف ١٤٥

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُم ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الأنبياء ٣٧

فلما جاءت على لسان فرعون جاءت أريكُم بصورتها الطبيعية في قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُم إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُم إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر ٢٩ وإذا تأملنا الآيتين نجد أن قول فرعون دليل على قدرته المحدودة وإن تجبر فهي قدرة ضعيفة مهما بلغ ظلمه، أما قدرة الله وآيات إعجازه فهي غير محدودة، ولذلك كان لابد من زيادة المبنى حتى يتحقق زيادة المعنى لقوم يتدبرون القرآن، فيعرفون عظمة قدرة الخالق التي سيربها لخلقه فالسين تدل على الاستمرار والتجدد والحدوث في المستقبل ومد الواو يوحى باستمرار تجدد الآيات والمعجزات في كل العصور مصداقا لقوله تعالى ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت ٥٣

أصحاب - صاحب

وردت في القرآن الكريم كلمة «أصحاب» ٧٨ مرة بدون ألف وسطية وحذف الألف دليل على التقارب والالتقاء والتماسك وكذلك يكون الصاحب مع صاحبه متماسكين متلازمين متآلفين متحابين كقوله تعالى: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وأصحاب الجحيم، وأصحاب الأيكة وغيرها نحو:

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٣٩

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٨٢

﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ النساء ٤٧

وهي توحى بالخلود في الجنة أو النار حسب سياق الآية الكريمة، فالصاحب ملاصق

لصاحبه آخذ بيده فلا فاصل بينهما وقد جاء الرسم القرآني ليدل على مدى الالتصاق والترابط بين الصاحب وصاحبه.

أما كلمة صاحب فقد وردت بألف المد ٨ مرات، وكلمة صاحبة أتت بدون مد للدلالة على الترابط والتماسك والالتصاق بين الصاحب وصاحبه

أما كلمة صاحبه في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ أَخْلَصُهُ﴾ الكهف ٣٤ جاءت بدون ألف وسطية لتؤكد أن الصاحب كان يظن صاحبه وفيما له مخلصاً في وده له ولكنه علم أنه غير مخلص له وأن العلاقة بينهما كانت قائمة على تبادل المنفعة وليس الصداقة فلما علم الرجل علاقته بصاحبه تغير الرسم القرآني ليؤكد الانفصال بين الرجلين، فلكل منهما غايته، فالأول يريد الآخرة والآخر يريد الدنيا ففرقت القلوب، وتباينت المقاصد فكان الرسم القرآني للآية موضحاً هذا الانفصال بذكر الألف في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ أَخْلَصُهُ﴾ الكهف ٣٧ وإذا أمعنا النظر في التعبير القرآني عن النبي ﷺ نرى قوله تعالى في سورة

النجم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ النجم ٢

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبأ ٤٦

وقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ التكوين ٢٢

وهذه الآيات خطاب لمن تحدث في حق النبي ﷺ وقال عنه إنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون فخاطبهم الحق سبحانه وتعالى موضحاً أنه ليس شاعراً ولا كاهناً ولا مجنوناً وعندما ذكر كلمة صاحبكم جاءت بالألف الفاصلة لتدل على الانفصال بين القوم وبين نبيهم فهم كافرون ولذلك اهتموه ﷺ بالجنون والسحر والشعر وغيرها فرد الله عنه هذا الاتهام الباطل.

وعندما تحدث الحق سبحانه وتعالى عن حال المؤمنين مع النبي ﷺ جاء ذكر ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ بدون ألف لتدل على التوافق والمحبة والالتصاق والتآلف بين القوم وبين صاحبهم محمد ﷺ يقول تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة ٤٠ وعندما تحدث الحق سبحانه

وتعالى عن الزوجة أطلق عليها الصاحبة للدلالة على الترابط والتآلف والرحمة والمحبة ولذلك جاء الرسم القرآني معبرا عن القرب والالتصاق بين الرجل وزوجته فحذفت الألف للدلالة على ذلك نحو: ﴿وَصَحْبَتُهُ وَبَنِيهِ﴾ عبس ٣٦ وقوله ﴿وَصَحْبَتُهُ وَأَخِيهِ﴾ المعارج ١٢

أيد - أييد

وردت في القرآن الكريم مرتين محذوفة الياء، وهى جمع يد في قوله تعالى:

﴿أَلْهَمَّ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمَرَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ﴾ الأعراف ١٩٥

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص ١٧

وردت مرة ثالثة في سورة الذاريات الياء في منتصفها في قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات ٤٧

وإذا تدبرنا الآيات الكريمة نجد أن كلمة «أيد، الأيد» تتحدث عن قوة بشرية ضعيفة لأن الإنسان خلق ضعيفا، وإن قدم الكثير فلا تقارن قوته بقوة الخالق عز وجل، أما في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذاريات / ٤٧ فتتحدث عن مطلق قدرة الله تعالى وعظمته، ولذلك جاء الاختلاف في المبنى لزيادة المعنى ولذلك قال تعالى مبينا عظمة بناء السماء وقوتها ومثانة إنشائها: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ النازعات ٢٧ فالقوة التي بنيت بها السماء «وهى أحق بالثبوت في الوجود، من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتى في الوجود، وكذلك زيدت بعد الهمزة في حرفين ﴿أَفَلَا يَنْ مَاتَ﴾ آل عمران ١٤٤ و﴿أَفَلَا يَنْ مِتَّ﴾ الأنبياء ٣٤ وذلك لأن موته مقطوع به، والشرط لا يكون مقطوعا به، ولا ما ترتب على الشرط هو جواب له، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره، ولا رجوعه عن الحق فتقديره: «أهم الخالدون إن مت؟ فاللفظ للاستفهام والربط، والمعنى للإنكار والنفي، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى الظاهر للفهم، الباطن في اللفظ»^(١)

إطعام

وردت في القرآن ثلاث مرات منها مرتان كاملة الأحرف في سورة المائدة في قوله

تعالى: ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ المائدة ٨٩

(١) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ١ / ٢٧٠

وفي سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ المجادلة ٤ ووردت في سورة البلد بدون ألف فكتبت ﴿إِطْعَمُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ البلد ١٤ فالآيتان الأولى والثانية تتحدث عن كفارات واجبة على المسلم لارتكاب محذور أو محرم، وهي تؤدي على التراخي أما في سورة البلد فالآيات تتحدث عن المجاعة وحاجة الناس فيها تكون ماسة إلى الطعام والشراب لأنها أساس الحياة، وليس فيها مجال للتراخي أو التباطؤ، ولذلك جاءت كلمة «إطعام» محذوفة الألف لتدل على وجوب السرعة في إطعام البائسين في أيام الشدة ولو بالقدر القليل ففي ذلك إشار لهم وقد قال الله في حق المؤثرين على أنفسهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر / ٩

ووصفهم الله بالفلاح والفوز في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر ٩

آناء - آناي

وردت الكلمة ثلاث مرات في القرآن الكريم مرتان بصورتها العادية في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ آل عمران ١١٣ وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا﴾ الزمر ٩

فجاءت الكلمة بالرسم العادي لأنها تتحدث عن المؤمنين الخاشعين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويسجدون من خشية الله فإذا جاء الحديث عن النبي ﷺ اختلف الرسم القرآني لبيان اختلاف كيفية تهجد النبي ﷺ عن تهجد الأمة حيث كان يظل قائما لله حتى تورمت قدماه، فلما سئل عن ذلك قال: «أفلا أكون عبدا شكورا»؟

ولذلك جاء خطاب الحق سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَايَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ طه ١٣٠

إيتاء - إيتاي

وردت كلمة «إيتاء» في القرآن الكريم ثلاث مرات، فوردت بالشكل العادي مرتين في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ الأنبياء ٧٣ وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ النور ٣٧

فالحديث في الآيتين عن أحكام عامة من قواعد الدين يجب على الجميع الالتزام بها لأنها أصول من أصول الدين وقواعد الإسلام فالزكاة ركن من أركان الإسلام لا يقوم الدين بغيرها، ولذلك حارب أبو بكر المرتدين وقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة أما الآية الثالثة وهى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ النحل ٩٠

فالحكم فيها مختلف، حيث يدعو الحق سبحانه وتعالى إلى صلة الأرحام وإيتاء ذوى القربى لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة ولأهمية هذا الفعل تغير الرسم لتغير المعنى، وبيان أهمية الإنفاق على ذوى القربى بما فيه من تألف القلوب، وترابط المجتمع وقوته قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء ١ والآيات تحدد ذوى القربى وتخصهم بالعطاء بالزكاة والصدقة لما لهم من خصوصية عظيمة في حياة الأسرة وقوة المجتمع.

امراة - امرات

وردت كلمة امراة تسع مرات في القرآن الكريم، فإذا جاءت نكرة جاءت بالتاء المربوطة لتشمل كل النساء، فالنكرة تفيد الشمول ولذلك يأتي معها حكم يشمل كل امراة في هذه الحالة أو الكيفية التي يتحدث عنها القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ النساء ١٢٨

فالحكم فيها عام لكل امراة تخاف من زوجها ترفعا عنها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها ورغبته في الزواج بامراة أخرى عليها والثانية وهى قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ النساء ١٢ فهي تبين حكم ميراث الكلاله وهو حكم عام لكل رجل أو امراة لم ينجبا ولم يكن لهما ولد أو بنت يورثان كلاله إذا كان لهما أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث بعد تنفيذ الوصية ودفع الدين.

فالحكم أيضا عام لكل من كانت حالته هكذا من رجل أو امراة فالحكم يشملهما معا.

أما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

مِثِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ آل عمران

فالأية تتحدث عن امرأة محددة ذات شأن خاص وهى امرأة عمران والدة مريم عليها السلام التي وهبت ابنتها خالصة لله تعالى ولها شأن عظيم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ التحريم / ١٠

فهى تحدد امرأتين كان لهما شأن مع زوجيهما حيث كانتا زوجتين لنبيين من أنبياء الله ولم تكونا وفيتين مخلصتين لهما فضرَب الله بهما المثل للذين كفروا مؤكداً أن من بطأ به عمله لم ينفعه نسبه، وأن كل إنسان مسئول عن عمله، ولا ينفع المرء مكانته من نبي ولا ولي إذا قصر في طاعة الله وخان الأمانة

وكذلك ضرب الله مثلاً للمؤمنين بامرأة فرعون التي كانت مؤمنة وزوجها من أساطين الكفر والضلال فكانت خير مثال للتقوى والصلاح.

فضرَب الله بها المثل للذين آمنوا يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ التحريم ١١

فإذا وردت امرأة نكرة فهى تفيد حكماً عاماً شاملاً ورسمت في المصحف بالتاء المربوطة، وإذا كانت امرأة محددة لها شأن خاص كامرأة عمران أو امرأة العزيز أو غيرها مما ضرب الله بهن الأمثال للمؤمنين أو الكافرين، فإنها ترسم بالتاء المبسوطة لتفيد العبرة والعظة من المثل الذي ساقه الحق سبحانه للمؤمنين أو للكافرين.

إن - ما

وردت إن مفصولة عن ما في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الأنعام في قوله تعالى ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الأنعام / ١٣٤

وقد جاءت إن التوكيدية مفصولة عن ما الموصولة التي بمعنى الذي لتؤكد أن الأمر الذي وعدهم الله به لآت لا محالة في ذلك، لأنهم غير معجزين الله فسوف يبعثهم الحق سبحانه وتعالى كما خلقهم من قبل من ذرية قوم آخرين، وإن شاء لذهب بهم واستخلف من بعدهم ما يشاء فهم ضعفاء لا يعجزون الله في شيء ويقول ابن البناء المراكشى: إن فصل «إن» التوكيدية عن «ما» يقع على مفصل فمنه خير موعود به لأهل الخير، ومنه شر موعود

به لأهل الشر، لذا جاءت «إن ما» مقطوعة وذلك للتفصيل.

ووردت إنها موصولة ١٣٧ مرة لتكون من وسائل التوكيد والقصر كقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة / ١١ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقْنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَزُوحٌ مِنْهُ﴾ النساء ١٧١

أيها - أيه

وردت كلمة «أيها» ١٥٣ مرة في القرآن الكريم، منها ثلاثة آيات وردت فيها بدون ألف بعد الهاء فجاءت بهذه الصورة «أيه» في قوله تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور / ٣١

وهي توحى بالإسراع في التوبة لأن الموت يأتي بغتة، ولذلك جاءت الكلمة بلا ألف لتدل على السرعة في النطق وهو يوحى بالمسارعة إلى التوبة والمسارة في الخيرات مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ آل عمران / ١٣٣ وجاءت بدون ألف أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّئُ السَّاحِرُ ادَّعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ الزخرف / ٤٩

وهي توحى بسرعة تلبية دعاء القوم أن يكشف اللهم عنهم العذاب الذي وقع بها لكفرهم وهي تدل على طلب فرعون من موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب الذي أخذهم الله به، والآيات الكبرى التي أراها لهم الحق سبحانه وتعالى فلجئوا إلى موسى مخلصين أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ليكونوا مؤمنين، فلما كشف عنهم العذاب نكثوا بعهدهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ الزخرف / ٥٠

وليس فيها كما يقول محمد شملول: ﴿كما أنه من الممكن أن توحى أيضا بأن فرعون وملاه يحاولون التقليل من شأن موسى عليه السلام﴾^(١)

لأن الموقف موقف عذاب واقع بالقوم، وهم يبحثون عن منقذ لهم من هذا العذاب، فأسرعوا بالجوء إليه يطلبون منه أن يدعو ربه أن يخلصهم من العذاب الواقع بهم، ولكن هول الموقف وفزعه أنساهم التفكير في أنه رسول الله فقالوا أيها الساحر لأن معجزته التي رأوها من الآيات العصا وإفراج يده من جيبه تخرج بيضاء من غير سوء في سبع آيات جعلتهم

يظنون أنه ساحر، فأنساهم هول الموقف أن ينادوه بأنه رسول إليهم، ولذلك دعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فعادوا إلى ضلالهم كما كانوا فحق عليهم العذاب.

أما الآية الثالثة فهي قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الرحمن / ٣١

فجاءت الكلمة «أيها» ناقصة لحرف الألف لتوحي بتهوين أمرهما، وبث الفزع في قلوب المخالفين من الإنس والجن ليرجعوا إلى ربهم فهو بهم رؤوف رحيم.

والآية الكريمة تعلمنا الأساليب التربوية العظيمة في التعامل مع الآخرين، حيث يلزم إتباع الحزم واللين فلكل وقته والمربي لا بد أن يكون حازماً في التعامل مع من يربيهم يقول الشاعر:

ومن يك حازماً فليقس أحيانا على من يرحم

آباء - أمهات

وردت كلمة آباء ٢١ مرة في القرآن الكريم وكلها بالألف الصريحة، أما كلمة أمهات فقد وردت ٨ مرات بدون الألف الصريحة كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ النساء ٢٣

وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مِّنْ أَخْرَجَكُمْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ النحل ٧٨ ويدل ذلك على التقارب والتماسك والارتباط بين الأم وأبنائها كما يوحي بشدة الالتصاق وتبادل المودة والرحمة بين الأم وأبنائها.

أما كلمة آباء فقد وردت بالألف الصريحة وهي توحى بالقوامة على أمر الأسرة، والعمل من أجلها، والتفاني في سبيل إسعادها

أبواب

وردت كلمة أبواب في القرآن الكريم ١٥ مرة كقوله تعالى:

﴿وَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ البقرة ١٨٩

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام ٤٤

وقد وردت في القرآن كله محذوفة الألف ووضع موضعها ألف خنجرية دلالة عليها،

وإذا أمعنا النظر في حذف الألف في هذه الكلمة نرى أنها تدل على الدقة أو الإحكام وحسن الالتئام بين جزئياتها حتى تكون قويه يصعب النفاذ منها أو الخروج منها فهي تحيط بهم وتمنعهم من الخروج وتمنع غيرهم من الدخول إليهم ولذلك جاءت بلا ألف لتفيد الالتصاق والتقارب بين أجزائها ودقة البناء والإحكام فإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتْ الْآبُوتَابُ﴾ يوسف ٢٣ نرى أنها أحكمت عدة أبواب حتى تخفي معالم إرادتها ولا يطلع عليها أحد يقول الزركشي ﴿عَلَّقَتْ﴾ فيه التكثير في العمل فيدخل فيه أيضاً ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذف الألف لذلك، ويدل عليه ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ و﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ يوسف ٢٥

فأفرد الباب المحسوس من أبواب الاعتصام، وكذلك ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الزمر ٧٣ محذوفة لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية، و﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْآبُوتَابُ﴾ ص ٥٠ ملكية من حيث هي لهم فثبتت الألف^(١)

فالزركشي يرى أن الأبواب المحسوسة المادية تكتب رسماً بالألف الصريحة والأبواب المعنوية تكتب وترسم بالألف الخنجرية وهذا يدل على الإتقان والتماسك والتلاحم بين أجزاء الأبواب حتى تكون محكمة على ما فيها....

بسم الله الرحمن الرحيم - باسم الله

وردت البسملة كاملة في فواتح السور ١١٣ مرة بدون ألف بعد الباء ووردت كذلك بدون ألف في قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ تَجَرَّبَهَا وَمُرْسَنَهَا﴾ هود / ٤١ ووردت كذلك في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل / ٣٠ وفي كل المرات التي وردت فيها «بسم» ورد بعدها لفظ الجلالة صريحاً فتكتب بدون ألف بعد الباء، فهي تعني الابتداء أي أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم وحذف الألف يوحى بالاتصال والقرب بين العبد وربّه فلا فاصل ولا واسطة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة ١٨٦ أما الحالات التي ورد فيها «باسم» بالألف الصريحة بعد الباء فقد جاءت بلفظ التسبيح والتزنية، أو القراءة فهي تحتاج إلى

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧٣

إمعان النظر والتدبير، ولذلك جاءت بالرسم بوضع الألف الموصولة وقد وردت أربع مرات ولم يأت بعدها لفظ الجلالة ولكن أتي بعدها كلمة «ربك» نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة ٧٤ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق / ١ (١)

باءوا

وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم بدون ألف الجماعة الألف الفارقة في آخرها وكتبت «باءو» نحو:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ البقرة ٦١

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ البقرة ٩٠

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آل عمران ١١٢

والآيات الثلاثة تتحدث عن بني إسرائيل - اليهود - الذين عصوا رسلهم واستكبروا عليهم، وأعرضوا عن منهج الحق سبحانه وتعالى فحق عليهم غضب الله تعالى، وقد جاء الرسم معبراً عن استحقاق غضب الله عليهم لإعراضهم عن منهج الله تعالى واستكبارهم على رسله تعالى، فحذف الألف يشير إلى قرب وسرعة استحقاق الغضب والعقاب من الله تعالى

بقية - بقيت

«بقيت» وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ هود ٨٦ وقد جاءت بعد الأمر بالقسط والميزان والحث على عدم إنقاص الناس حقوقهم وعدم الإفساد في الأرض فجاء الرسم العثماني بالتاء المبسوطة ليدل على اتساع ما عند الله تعالى وبسطه لمن لا يبخل الناس أموالهم ولمن لا يفسد في الأرض فالريح عند الله متسع عظيم لا يقارن بالريح الضيق المحدود في الدنيا وقد وردت في الآية ١١٦ من السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ هود ١١٦ فقد وردت كلمة بقية بالتاء المربوطة لتدل على القلة الباقية من القرون الماضية التي تدين بالفضل والدين النهي عن الفساد.

(١) الأيتان الباقيتان : الواقعة ٩٦ ، الحاقة ٥٢

وكذلك وردت كلمة بقية بالتاء المربوطة في قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ البقرة ٢٤٨

وتشير الآية الكريمة إلى قلة الأشياء التي كانت في الصندوق وهي الباقية من آل موسى وآل هارون وهي كما يقول السيوطي في تفسيره «نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم، ورضاض من الألواح»^(١)

تعلمني - تعلمن

وردت كلمة «تعلمن» ثلاث مرات في القرآن الكريم بحذف ياء المتكلم ووضع الكسرة دليلاً عليها لتوحي بسرعة النطق، وشدة الرغبة في التعلم ففي قوله تعالى علي لسان موسى ﷺ: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف ٦٦ فهي توحى بسرعة الحديث والمسارة في الرغبة إلى التعلم والتلهف على العلم فهي توحى بالسرعة وشدة الرغبة في التعلم ولذلك جاء تعقيب العبد الصالح علي قول موسى - ص - ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف ٦٧ لأنه لاحظ شدة حرصه على التعلم وإلحاحه في الطلب الذي يدل على السرعة والعجلة والعلم يحتاج صبراً وجهداً.

تمدون

وردت في القرآن مرة واحدة في سورة النمل على لسان سليمان ﷺ في قوله تعالى ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِي فَمَا بِمَالِ آتِنَنِي اللَّهُ مِمَّا خَيْرُ أَتَنُكُمْ﴾ النمل ٣٦ وقد وردت بحذف ياء المتكلم لتدل علي سرعة رفض الهدية، وعدم التفكير في أمرها لأنها أمر دنيوي ومتاع فان لا يقارن مع ثواب الله العظيم الذي ادخره لعباده الصالحين، ولذلك قال سليمان ﴿فَمَا آتِنَنِي اللَّهُ مِمَّا خَيْرُ أَتَنُكُمْ﴾ النمل ٣٦

فإذا كانت ملكة سبأ قد سارعت بإرسال الهدية خوفاً من وصول جيوش سليمان إليها، فإن سليمان ﷺ قد سارع في رفض الهدية لأنه نبي لا تغريه زينة الحياة الدنيا، ولا يشغله إلا نشر دين الله ولذلك سارع برفض الهدية مؤكداً أن عطاء الله خير له من عطاء البشر قال تعالى على لسان سليمان ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي مِنِّي لِأَحَدٍ بَعْدِي﴾ ص ٣٥

(١) تفسير الجلالين : سورة البقرة آية ٢٨٤ .

تتبعان

وردت مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة يونس في قوله تعالى:

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

يونس / ٨٩

هو اتباع معنوي لأنه في سبيل الهداية إلى ربه بدليل ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ طه / ٩٣ ولم يأمره بالمسير الحسي، وإنما أمره أن يخلفه في قومه ويصلح، وهذا بخلاف قول هارون: ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ طه / ٩٠ فإنه إتياع محسوس في ترك ما سواه بدليل قوله: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ طه / ٩٠ وهو أمر له لا يكون إلا الحسي^(١)

ثاني - ثالث - رابع

إذا أنعمنا النظر في ورود هذه الكلمات في كتاب الله تعالى نرى حكما جليلة يؤديها الرسم العثماني معبرا عن المعنى الجديد، حيث وردت كلمة ثاني وثالث ورابع إذا وردت بألف وسطية فإنها تدل على الانفصال سواء في النوع أو الحجم أو القيمة أو غيرها نحو: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف ٢٢. ^(٢)

وقال تعالى ﴿ثَانِيَ آثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ﴾ التوبة ٤٠

وعندما تحذف منها الألف فإنها في هذه الحالة تدل على الاتصال والقرب والتقارب الروحي وذلك كقوله تعالى ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾

النساء / ٣

ومن الحكم العظيمة أيضا في حذف الألف في الرسم أنها توحى بالتآلف والترابط بين الزوجات جميعهن بحيث يكن في منزلة واحدة فلا تفريق بينهما، فإذا خشي التفريق في المعاملة وعدم العدل بين الزوجات فإنه يجب على الإنسان الاقتصاد على واحدة أو ما ملكت يده يقول تعالى:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء / ٣

(١) البرهان للزركشي ١ / ٢٧٧

(٢) محمد سملول : إعجاز رسم المصحف / ١٠٦

ويقول الزركشي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾

المائدة/ ٧٣

ثبتت ألف ثالث لأنهم جعلوه أحد ثلاثة مفصلة فثبتت الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الآلهة تعالى الله عن قولهم، وحذفت ألف ثلاثة لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة.^(١)

فالآلهة عندهم منفصلة كل إله له صفات خاصة تميزه وهذا يدل على الشرك والضلال والانفصال في العقيدة لأن الباطل لا يجمع أفراده بل يكونون منفصلين فكل فريق أفرادهم متحدون فإنهم في الحقيقة منفردون منفصلون كالمنافقين ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر/ ١٤

التلاق - التناد

وردت كلمة التلاق محذوفة الياء مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ

يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ غافر/ ١٥

وهي تتحدث عن تلاق أخروي ملكوتي، فإذا استخدمت لبيان تلاق دنيوي فإنها تكتب بالياء وكذلك كلمة ﴿التناد﴾ إذا ذكرت تناد أخروي حذفت منها الياء، وإن ذكرت تناد دنيوي ثبتت الياء فهي مذكورة بدون ياء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُومِرَإِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ غافر/ ٣٢

فهو تناد مختلف وتلاق مختلف أيضا لأن حكم يوم القيامة تختلف فيه كل الأمور المحسوسة التي عرفها الناس في الدنيا، فقد تبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرز الناس للحساب والجزاء، فاختلقت كل الموازين والمعهودات لشأن يوم عظيم قال تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ طه/ ١٠٨

الجوار

وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات بدون ياء في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ الشورى/ ٣٢

وقوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾. التكوير/ ١٦

وورودها بحذف الياء يدل على سرعة الدوران، وخفة الحركة واستمرارها، وانتظام الحركة في الكون.

جزاء - جزاؤا

وردت كلمة جزاء في القرآن الكريم ٣١ مرة منها ٤ مرات كتبت «جزاؤا» بزيادة المبنى، فإذا تأملنا الآيات الأولى وهي ٢٧ آية وردت فيها كلمة جزاء بالصورة العادية نجد أنها أمور عادية، وجزاء عام يطبق على كل المخالفين ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾

البقرة/ ٨٥

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

البقرة/ ١٩١

فهو أيضا حكم عام حيث ينهى الحق سبحانه وتعالى عن مقاتلة المشركين عند المسجد الحرام حتى لا يقاتلوا المسلمين فيه وتنتهك حرمة، فإن قاتلوهم واعتدوا عليهم عند المسجد الحرام فعلى المسلمين درء الظلم عن أنفسهم ومحاربتهم وقتلهم وذلك جزاء الكافرين.

فإذا تغير الحكم وأصبح حكما خاصا لتكبر ظالم أو مستكبر معاند من أساطين الكفر والظلم نجد الحكم يتغير فيشتد العذاب، ويكون الجزاء موافقا للإثم فيتغير الرسم العثماني ليعبر عن ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة/ ٢٩

فالآية تتحدث عن أول جريمة قتل في البشرية، وهي قتل بلا حق وقتل النفس بلا حق كبيرة عظيمة فما بالكلم إذا كانت أول قدوة سيئة في البشرية بدافع الحقد ومرض القلب فكان الجزاء عظيمًا موافقا للجريمة البشعة ولذل

ك ثبتت الواو علامة على الضم واشتداد العقوبة وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المائدة/ ٣٣

فالجزاء هنا جزاء عظيم على فعل عظيم، فليس هناك أشد قسوة ممن يحارب الله ورسوله

ويسعى في الأرض فسادا بغير حق، ومن ثم غلظت عقوبته لشدة جرمه وإثمه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الشورى/ ٤٠ فالسيئة المماثلة هي رد على إساءة سابقة والعفو أفضل من العقوبة فإن كان لا محالة من العقوبة فالجزاء بالمثل والرسم يبين أن العفو أفضل، والجزاء بالعقوبة وإن كان حقا واجبا فهو عظيم وأفضل منه العفو عند المقدرة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

الحشر/ ١٧

فالآية تتحدث من جرم عظيم بين الشيطان والإنسان الذي غوى الإنسان ثم تبرأ منه وذلك جرم عظيم جزاء وفاقا لعظمة الإثم والذنب فهو يحمل وزره ووزر من أضله لأنه السبب في الإثمين يقول تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ النحل/ ٢٥

جنت

وردت كلمة جنت في القرآن الكريم ٦٧ مرة وفي كل المواضع «جنت تجري من تحتها الأنهار» إلا في موضع واحد جاءت «جنت تجري تحتها الأنهار» في قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ التوبة/ ١٠٠
أما باقى الآيات الكريمة فقد ورد اللفظ «من» في قوله تعالى:

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ البقرة/ ٢٥

وإذا أمعنا النظر في الآيات الكريمة التي وردت فيها ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ نجد أنها تتحدث عن حكم عام للذين آمنوا وعملوا الصالحات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ محمد/ ١٢

وقوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الفتح/ ٥

أما قوله تعالى في سورة التوبة فقد ورد جنت تجري من تحتها الأنهار أي تحت هذه الجنت أنهار مختلفة في أي مكان شئت من الجنت وليس في أماكن محددة، فإذا بحثت عن

سبب ذلك تجد أن هؤلاء لهم جهود عظيمة في الدعوة الإسلامية تفوق غيرهم، وذلك هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار يقول تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ التوبة / ١٠٠
وهذا جزاء سبقهم إلى الإسلام، ومناصرتهم الرسول ﷺ في فجر الدعوة الإسلامية.

الخلق - البارئ

وردت الكلمتان مرة واحدة في القرآن الكريم فجاءت كلمة الخالق بلا ألف فرسمت «الخلق» بالألف الخنجرية، وفي ذلك تعبير عن أن الخلق يكون بلفظ كن فيكون فتبارك الله أحسن الخالقين، أما البارئ ففيه تمهل يقول القرطبي، المنشئ بحسب ما تحتاجه النشأة من وقت. ^(١) يقول تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر / ٢٤

داخرين - دخرين

وردت كلمة «داخرين» مرتين في القرآن الكريم، ذكرت مرة بالألف الفاصلة بعد الدال، وجاءت مرة أخرى بحذف الألف بعد الدال، وفي ذلك حكمة عظيمة ينبغي أن نتأمل الموضعين لنرى عظمة التعبير القرآني.

فقد وردت بالألف الصريحة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر / ٦٠

وقد وردت في الحديث عن المستكبرين عن طاعة الله وعبادته فهم بعيدون عن الهداية، بعيدون عن اللجوء إلى الله تعالى لأن رحمة الله قريب من المؤمنين، فإذا سأل الإنسان ربه ودعاه وجده قريباً مجيباً أما من يستكبرون عن دعائه تعالى فهم بعيدون عن رحمته سيدخلون جهنم داخرين.

فحذف الألف يشير إلى قرب رحمة الله من الداعين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة / ١٨٦

وقد وردت كلمة «داخرين» بلا ألف في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرِينَ﴾ النمل / ٨٧ وهي توحى بسرعة تلبية النداء يوم القيامة، فيوم ينفخ في الصور يفرع من في السماوات والأرض ويأتون الله تعالى مسرعين ملبين نداء ربهم صاغرين يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه.

لَا أَذْبَحَنهُ

وردت هذه الكلمة مرة واحدة بزيادة الألف بعد الهمزة في قوله تعالى في قصة سليمان - عليه السلام والهدهد: ﴿لَا أَذْبَحَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ النمل / ٢١ وزيادة الألف دليل على إمعان النظر والتمهل في الفصل في أمر تأخير الهدهد الذي تأخر بغير إذن سليمان - عليه السلام ويؤكد التمهّل قول سليمان - عليه السلام: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ النمل / ٢١

أي سينتظره حتى يأتي ثم يسأل عن سبب تأخيره، فإن كان له عذر أخذ به، وإلا طبق عليه العقوبة وهي الذبح، فلما جاءه بالأمر العجيب عفا عنه، وبحث في الخبر العظيم الذي أتى به الهدهد.

جَاهِد

وردت في القرآن الكريم ٢٨ مرة كلها بدون ألف وسيطة، وهذا يدل على أن الجهاد أنواع منها جهاد النفس الذي يقتضي الإقامة وعدم الانتقال ومجاهدة النفس، وحثها على الاستقامة حتى تلين وتلتزم بأمر الله تعالى ومنها الجهاد في سبيل الله بوسائله المختلفة من جهاد بالنفس والمال والعمل من أجل نشر الدين، ومحاربة الظالمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الأنفال / ٧٢

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدُ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ التوبة / ٧٣

رَأَى - رَءَا

وردت في القرآن الكريم ١٣ مرة منها ١١ مرة «رَءَا» ووردت مرتين «رَأَى» بهذا الرسم في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ النجم / ١١ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ النجم / ١٨

وهي تتحدث عن رؤية بالبصرة أريها النبي ﷺ ليلة أسري به فشاهد آيات ربه الكبرى ببصيرته مما ثبت فؤاده، ويهون عليه مصاعب الدعوة الإسلامية، ولكي يجد حفاوة السماء بعد أن وجد جفاء أهل الأرض فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

أما الرسم الآخر لكلمة «رأى» فهو «رءا» بالألف القائمة بعد الهمزة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ الأنعام / ٧٨

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ هود / ٧٠

: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ النحل / ٨٦

وهي تتحدث عن رؤية بصرية بالعين ولذلك اختلف الرسم العثماني ليفرق بين الرؤية البصرية والرؤية بالبصرة.

ويرى محمد شملول أن «الرؤية البصرية محدودة تصيب وتخطئ كما أنها لا تحيط بكل شيء حيث يوحى وجود الألف في نهاية الكلمة بنوع من الحجاز أو الحد^(١)»

الربا - الربوا

وردت كلمة الربا في القرآن الكريم ٧ مرات، بالرسم العثماني التالي «الربوا» في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ البقرة / ٢٧٥

وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة / ٢٧٦

فكلمة الربا وردت بالزيادة لتؤكد أن كل قرص جر نفعا فهو ربا والربا بزيادة المال زيادة في أكل السحت، زيادة في غضب الحق سبحانه وتعالى، ومن لم يتب فليستعد لعقاب الله تعالى يقول تعالى ﴿فَادْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ البقرة / ٢٧٩

أما كلمة الربا فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الروم / ٣٩

وهي خاصة بأكل القليل من الأموال الربوية فلا تربو عند الله تعالى.

الرسولا - الظنونا - السبيلا

وردت هذه الكلمات بزيادة الألف في آخرها للدلالة على الزيادة في الندم والحسرة والألم على عصيانهم الرسول ﷺ واتباع الظنون حتى ضلوا عن الصراط المستقيم، وفي ذلك أيضا بيان لمكانة الرسول ﷺ وارتفاع منزلته، يقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ الأحزاب / ١٠

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا أَلَسَّيْلًا﴾ الأحزاب / ٦٧ وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ الأحزاب / ١٠ والآية الأخيرة تدل على هول الموقف، وشدة اليأس، والخيرة والتشتت حتى تبلغ القلوب الحناجر من شدة الخوف والفرع فتزداد الظنون بالبشر خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمته.

الريح - الرياح

وردت كلمة الرياح ١٠ عشر مرات في القرآن الكريم، منها ٩ مرات بدون ألف كقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ البقرة / ١٦٤ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف / ٥٧ وحذف الألف يدل على الخير والرخاء الناتج عن الفوائد العظيمة التي يجنيها الخلق من اجتماع الرياح فهي تسير السفن، وتلقح النباتات، وتلطف الجو، وتجدد الهواء، وفيها منافع كثيرة فاجتماعها خير للناس أما الريح فلا تأتي إلا في الإهلاك والتدمير كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ آل عمران / ١١٧ وقد وردت كلمة الرياح بالألف مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الروم / ٤٦

وفي ذلك إشارة إلى فوائد عديدة للرياح لا يمكن للإنسان أن يحصيها، فجاءت الكلمة كاملة الحروف لتدل على تعدد المنافع منها.

رحمة - رحمت

وردت كلمة رحمة بالتاء المربوطة ٧٢ مرة، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ البقرة / ١٥٧

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ البقرة / ١٧٨

فلاحظ أن كلمة «رحمة» ختمت بالتاء المربوطة لتدل على الإحاطة بالأمر فهي رحمة عامة شاملة لكل البشر ففيها حكم وضعه الحق سبحانه وتعالى رحمة بالملكفين جميعهم.

أما كلمة «رحمت» فقد وردت ٧ مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى:

«إن رحمت الله قريب من المحسنين» الأعراف / ٦

وقوله تعالى: «رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت» هود / ٧٣

فالرحمة هنا جاءت بالتاء المبسوطة لتشمل جميع المحسنين وأهل البيت، وتتسع لكل من أحبهم ودعا إلى حبهم، فالرحمة هنا من نوع خاص لفريق خاص له سمات محددة كالمهاجرين والمجاهدين في سبيل الله وأهل البيت وغيرهم.

ساحر - سحر

وردت كلمة ساحر بالألف الصريحة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ طه / ٦٩ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف / ٤٩

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ الذاريات / ٥٢ وإذا تأملنا كلمة ساحر في الآيات نجد أنها تدل على متمرس في السحر زائع أمره بين الناس، مشهور بسحره.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٍ﴾ طه / ٦٩

فهي نكرة تفيد الشمول، وتقلل من شأن السحر وصاحبه، وتهون من شأنه فهو شأن ضعيف يقول تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ طه / ٦٩

سراجا - سرجا

وردت كلمة «سراجا» بألف صريحة في القرآن الكريم ٣ مرات في قوله تعالى:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب / ٤٦

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ نوح / ١٦

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ / ١٣

فإذا أمعنا النظر في الآيات الكريمة الثلاثة نرى أن معنى كلمة ﴿سراجا﴾ في الأولى تعنى النبي ﷺ وفي الآيتين الكريمتين يقصد بهما الشمس فالشمس مصدر مضيء يصدر عنه الضوء والحرارة، وقد وردت الكلمة بحروفها كاملة لتدل على أن الرسول ﷺ قد قام بأداء رسالته كاملة كما أمره الله تعالى كما أن الشمس لم تتغير بالتغيرات ولم تتكاسل عن أداء دورها في الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد وردت كلمة ﴿مِرْجَا﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة بألف خنجرية في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان/ ٦١ وإذا أنعمنا النظر في الآية الكريمة نرى أن السراج لم يوصف بالوهاج، ولذلك «فإن المقصود بها يكون النجوم، وهى شمس في حقيقتها، ينبع ضوءها من ذاتها ولكن نظراً لبعدها فإن ضوءها يكون سراجاً ضعيفاً، ولذلك جاءت كلمة «سراجا» بدون ألف لتدل على ضعف ضوءها ولتلفتنا إلى هذه النجوم»^(١).

سموت - سموات

وردت ١٨٨ مرة في القرآن الكريم بدون ألفى المد وكتبت «سموت» ووردت مرة واحدة بالألف الصريحة بعد الواو في قوله تعالى: ﴿فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فصلت/ ١٢ وقد وردت بهذه الصورة عند بيان قدرته تعالى في خلق سبع سماوات في يومين، وجاءت الكلمة بزيادة المبنى لتدل على زيادة المعنى، فالإشارة إلى عظمة قدرة الله تعالى في الخلق، وتقدير كل شيء فيها بحكمة عظيمة تستحق التوقف والتأمل في مظاهر قدرة الله وعظمته يقول تعالى: ﴿أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الملك/ ٤ وقد جاءت في تفصيل خلق السماوات والأرض في صورة فصلت فاقتضى زيادة في الرسم تدعو إلى التدبر في معاني القدرة الإلهية.

سندع

وردت مرة واحدة بدون واو في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ومحجى الفعل المضارع المعتل الآخر بدون حرف العلة بدون جزم دليل على سرعة

(١) محمد شملول : إعجاز رسم القرآن/ ٨٦

الحدوث وشدة العقاب الواقع على المجرمين، كما تدل على سرعة استجابة الزبانية وسرعة تنفيذ العقاب الواقع بالمجرمين.

سنت - سنت

وردت كلمة سنة بالتاء المربوطة ٨ مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ^ط وَقَدْ حَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحجر / ١٣

ويقصد بها هنا تعذيبهم جزاء مخالفتهم أنبياءهم وإصرارهم على الكفر والتمرد وفي قوله تعالى: ﴿سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ الإسراء / ٧٧ وتعنى هنا: الجزاء المتبع لكل من خالف أمر الله تعالى، وهو لن يتغير فهو جزاء موافق للجرم.

وقد وردت كلمة سنة بالتاء المبسوطة في ٥ مواضع منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنفال / ٣٨

فجاءت كلمة سنة بالتاء المبسوطة لكي توحى بأن رحمة الله واسعة تشمل كل من يتوب ويرجع إلى الله تعالى، ويترك طرق الغواية والضلال.

وفي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر / ٤٣

فقد وردت الكلمة ثلاث مرات في الآية الكريمة مؤكدة أن عقاب الله المخالفين المعرضين عن طاعته منهج متبع منذ القدم لا يتغير بتغير الزمن أو تبدل الأمم، ولكن رحمة الله قريب من المحسنين الذين يتوبون إلى الله، ويرجعون عن غيهم فقد بسط لهم أبواب الرحمة، فإن تابوا ورجعوا شملهم برحمته الواسعة، وإن أصرروا فقد حق عليهم عذابه وتلك سنة متبعة من قديم الأزل مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ حِسَابًا﴾ ١٧ وكذبوا بِقَايَتِنَا كَذَابًا ١٨ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ١٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٢٠

النبا / ٢٦-٣٠

سيماهم - سيمهم

وردت كلمة «سيماهم» مرة واحدة في القرآن الكريم، ووردت كاملة الحروف في الحديث عن النبي ﷺ وأصحابه حيث وصفهم الحق سبحانه وتعالى بصفات الكمال والتمام

التي جعلتهم قدوة لغيرهم من البشر في الأمة الإسلامية يقول تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الفتح / ٢٩

وقد وردت كلمة «بسيمهم» خمس مرات في القرآن الكريم بدون ألف صريحة كقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة / ٢٧٣

والآية تتحدث عن صفات أناس فقراء متعفين يتوارون من الناس، لا تعرفهم إلا إذا تدبرت حالتهم، فهم لا يسألون الناس ولا يلحون في طلب شيء منهم، ولذلك جاءت محذوفة الألف لتدل على التخفي والاستتار والقناعة وعدم التعرض لسؤال الأغنياء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد / ٣٠

في الآية الكريمة تتحدث عن صنف من الناس يظهرن خلاف ما يبطنون، وهم المنافقون الذين يحتاجون إلى تدبر في معرفتهم فهم أشد خطرا على المسلمين من الكفار، ولو شاء الله لكشف أمرهم للنبي ﷺ ولعرفهم من خلال كلامهم وغمزهم

ولمزهم على المسلمين في خطأ القول وزلات اللسان فهم ينكمشون وراء الخداع والغش ولذلك جاء التعبير القرآني مصورا لحالتهم وخداعهم فجاءت كلمة «بسيمهم» بدون ألف لتدل على الانكماش والتخفي والتستر وراء الخداع.

شاهدا - شهدا

وردت في القرآن الكريم أربع مرات بالألف الصريحة فجاءت بهذه الصورة «شاهد» كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ هود / ١٧

إن كلمة شاهد بمعنى دليل يشهد على صدق محمد ﷺ من القرآن ومن التوراة التي نزلت على موسى ﷺ فالنبي ﷺ على بينة من ربه ومعه شاهد من القرآن يدل على صدقه وقد أخبرت التوراة من مجيئه ﷺ وبشرت به.

وقوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ يوسف / ٢٦

تدل على أنه رجل من أقارب امرأة العزيز شهد الواقعة وحكم فيها بقوله:

إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين «ولذلك قدم دليل براءتها على دليل إدانتها فلما ظهرت الحقيقة قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

وقد وردت كلمة «شاهدا» بلا ألف في الرسم العثماني في تصوير حال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب / ٤٥ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ المزمل / ١٥

نلاحظ حذف الألف من كلمة شاهد في الحديث عن النبي ﷺ واختلاف الرسم يوحى بالتقارب والتلاصق والمودة والمحبة بين المؤمنين ونبههم ﷺ فليس هناك فاصل بينهم لأنه من أنفسهم ويعز عليه فعلهم وهو بهم رؤوف رحيم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة / ١٢٨

شركاء - شركوا

وردت كلمة شركاء ١١ مرة بالصورة العادية في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَثِ﴾ النساء / ١٢

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ آلِينَ﴾ الأنعام / ١٠٠

وهي تدل على مجرد التشارك أو المشاركة بشكلها العادي المعهود.

وقد وردت كلمة «شركوا» بهذا الرسم غير المعهود لتدل على مشاركة غير معهودة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ الأنعام / ٩٤ وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ تَوَسَّلُوا بِهِمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى / ٢١

والآيتان تشيران إلى مشاركة غير عادية فهي مشاركة في العبادة واتخاذهم أولياء، فجاء الرسم مصورا عظم الفاحشة التي ارتكبها هؤلاء القوم من إشراكهم الأوثان والطاغوت في عبادتهم لله تعالى، فقد اتخذوهم أولياء من دون الله تعالى فضلوا فحق عليهم العذاب.

الصغرين

وردت كلمة الصاغرين في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة يوسف على لسان امرأة العزيز حين حددت عقاب يوسف ﷺ إن لم يستمع لكلامها وإن لم يكن مطيعا أمرها فقالت:

﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّيُسْجَنَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ يوسف / ٣٢

وكلمة الصاغرين وردت بلا ألف لتوحي بالضعف والعجز والانكماش أمام تطبيق العقوبة الجائرة على ذنب لم يقترفه يوسف عليه السلام وكذلك حذفت نون التوكيد من «ليكونا» واستعيض عنها بالتنوين تخفيفاً في النطق حتى لا تثقل الآية في النطق لتوالى نون التوكيد المشددة وهذا الحذف يدل على التهديد بسرعة تنفيذ العقوبة التي أصدرتها امرأة العزيز، فهي تؤكد أنها صاحبة الحكم القادرة على التنفيذ، وليس أمام يوسف عليه السلام إلا الإذعان والطاعة والامتثال لأمرها ولكن هيهات أن يقع نبي الله في محذور حرمه الله عليه وهو أسوة حسنة لغيره في طاعة الله يقول شوقي:

فراى الله أن يعق ولد
له تفي لا لغيره الأنبياء^(١)

الصلاة - الزكاة - الحياة

ألف التفخيم:

عرف اللسان العربي حركة بين الألف وواو المد وتسمى ألف التفخيم كما في الصلاة والزكاة والحياة في لغة الحجاز^(٢)، وقد كتبت كلمات بواو عوضاً عن الألف للدلالة على نطقها بين الألف والواو فتكتب: الزكوة والحيوة والربو والغدوة

ولذلك رسمت هذه الكلمات بالواو المفخمة فرسمت هكذا الصلوة - الزكوة - الحيوة، وهذا الرسم لتفخيم العمل، وبيان أهميته في الحياة، فالزكاة والصلاة عمودان من أعمدة الإسلام التي بنى عليها الدين الإسلامي، والحياة أساس البقاء، فالتفخيم في هذه الكلمات مظهر لبيان أهميتها ومكانتها في حياة المسلم. ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى في تعظيم الزكاة وتحريم الربا ﴿يُمَحِّقُ اللَّهُ الْرِبَا وَبَرِّبِ الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة / ٢٧٦

طفا - طغى

وردت في القرآن الكريم ٩ مرات منها ٨ مرات بلفظ «طغى» بالألف المقصورة كقوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ طه / ٢٤

(١) ديوان شوقي: كبار الحوادث في وادي النيل.

(٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١ / ٥٦

فطغيان فرعون طغيان متسع منتشر في الأرض فجاء الرسم العثماني مشيراً إلى اتساع طغيان فرعون اتساعاً أفقياً مدمراً.

وكذلك قوله تعالى على لسان هارون وموسى: ﴿رَبَّنَا! قَالَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ عَلَمَنَا يَفْرُطَ أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ طه/ ٤٥ أي يزداد طغيانه ويشملنا ظلمه لأن اتساع ظلمه ينذر بذلك أما قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الحاقة/ ١١

فإننا نجد الرسم القرآني يتغير إلى الألف القائمة للدلالة على أنه طغيان رأسي من أسفل إلى أعلى حتى يحمل السفينة فينجو من فيها لأن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار، مضادله في الاتجاه.

فالطغيان تجاوز الحد في الزيادة، فيكون طغيانا معنوياً بزيادة الظلم والبطش، ويعبر عنه الرسم العثماني باستخدام الألف القصورة تعبيراً عن امتداد الظلم وانتشاره انتشاراً أفقياً، أما الطغيان المادي فيكون بزيادة الماء حتى يتجاوز حد الزيادة فيكون طغياناً رأسياً ويعبر عنه الرسم بالألف القائمة إشارة إلى ارتفاع الماء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الحاقة/ ١١

طَافٍ مِّن رَّبِّكَ - طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ

وردت كلمة طائف في القرآن الكريم مرتين، مرة بالألف ومرة بدون ألف، فإذا تدبرنا الآيتين نجد أنها وردت بالألف في قوله تعالى:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٍ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ القلم/ ١٩

وهي تتحدث عن أصحاب البستان الذين منعوا زكاة أموالهم وزرعهم فكان عقاب الله لهم بأن جعل بستانهم كالصريم أي أسود محترق لا أثر للخضرة فيه ولا خير ولا جمال، والطائف هنا أضيف إلى القدرة الإلهية فلا بد أن يكون عظيماً فجاءت الكلمة بحروفها كاملة دون أن ينتقص منها حرف واحد.

والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف/ ٢٠١

نلاحظ أن كلمة طائف جاءت بلا ألف ليؤدى نقص المبنى إلى ضعف المعنى فالطائف هنا من الشيطان، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء/ ٧٦

ولذلك جاء الرسم القرآني معبرا عن ضعف الشيطان وضعف كيده أمام قوة إيمان المؤمنين الذين يذكرون قدرة الله تعالى فيستعينون بها على غواية الشيطان، فكلمة طائف مع الشيطان جاءت محذوفة الألف لتدل على الخفة والسرعة والخلصة في مس الشيطان ووسوسته للمؤمنين.

السلام - السلم

وردت في القرآن الكريم ٧ مرات بدون ألف وسيطة كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ النساء/ ٩٤

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ المائدة/ ١٦

وهي تشير إلى المودة والاقتراب، والابتعاد عن الضغينة والأحقاد فهي دعوة إلى التقارب والابتعاد عن الشقاق والنزاع ولذلك كان حذف الألف الذي يشير إلى الانفصال والابتعاد حتى تتحقق الرحمة والمودة والوئام.

الصابئون - الصابئين

وردت كلمة «الصابئون» مرفوعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ المائدة/ ٦٩

فإذا نظرت إليها تبين لك كما رأى أهل الظاهر أنها في محل نصب، فهي معطوفة على الذين في محل نصب، والمعطوف على المنصوب يكون منصوبا وقد وردت في الآيتين الأخريين منصوبة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ البقرة/ ٦٢

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ الحج/ ١٧

فهل ورودها في الآية الأولى خطأ أم له وجه في لغة العرب؟

وإذا أنعمنا النظر في الآية الكريمة نرى أنها تتحدث عن جماعة لهم شأن خاص فلا بد

أن يأتي ذكرهم ذكرا خاصا مستأنفا بحكم يشملهم، جزاء على أعمالهم الفاضلة في ترك دين آبائهم ومجاهدتهم أنفسهم، ودعوتهم قومهم إلى طاعة الله تعالى وإتباع منهجه القويم، والابتعاد عن الغواية والضلال.

أما الآيتين الأخريين فقد جاء حكمهم عاما فشملمهم حكم من معهم

ضعفاء - الضعفاء

وردت كلمة «ضعفاء» مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ البقرة / ٢٦٦ ووردت كلمة «الضعفاء» بهذا الرسم في موضعين

من كتاب الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ إبراهيم / ٢١

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ غافر / ٤٧

فإذا تدبرنا الآيات الكريمة نجد أن كلمة ضعفاء بالرسم العادي تدل على ضعف عام طبيعي معهود ولذلك جاءت بالرسم العادي أما الأخرى فجاءت برسم مختلف فالواو دليل على علامة الرفع الضمة ودليل على ضعف غير معهود والله أعلم.

أما رسم كلمة ﴿الضُّعَفَاءُ﴾ فيوحى كما تصور الآيات الكريمة بأنهم كانوا تابعين للمستكبرين والجبارين في الدنيا فكانوا أعوانا لهم على الباطل، وكانوا يؤيدونهم ولا ينكرون عليهم أفعالهم فهم جميعا شركاء في الإثم شركاء في العقاب، فلن يغنى عنهم شركاؤهم شيئا يقول تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إبراهيم / ٢١

فالضعفاء يطلبون بضعفهم من المستكبرين أن يحملوا عنهم حتى ولو كان أقل شيء من العذاب فلا يستطيعون حمله عنهم، فضعفهم غير معهود ولذلك خذلهم المستكبرون لأنهم لا يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم فكيف يدفعونه عن غيرهم.

الطلاق - الطَّلَق

وردت كلمة الطلق مرتين في كتاب الله عز وجل، بدون ألف وسيطة في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة / ٢٢٧

وقوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ)﴾ البقرة/ ٢٢٩ ويوحى حذف الألف بأن الطلاق آخر علاج للحياة الزوجية، ويجب على المؤمنين أن يضيقوا سبل الطلاق لما له من آثار ضارة بالمجتمع الإسلامي فانكماش اللفظ دليل على قلة انتشار الطلاق، ولذلك يجب أن يكون في أضيق نطاق وفي أضيق الأمور عند أمس الحاجة إليه.

وفي الوقت نفسه يجب على الزوج رد زوجته إليه بسرعة طالما كانت في العدة حتى لا يتسع الشقاق، ويصعب العلاج.

أما عن علة ورود «مرتان» بالألف الفاصلة فإنها توحى بأن الطلاق يجب أن يكون مرة بعد أخرى خلافا لمن يحكم بوقوع الطلاق مرتين في لفظ واحد وفي موقف واحد. فالفصل بالألف في كلمة «مَرَّتَانٍ» يشير إلى انفصال وقوع المرتين واحدة بعد الأخرى حفاظا على وثائق الروابط الأسرية.

المطهرين - المتطهرين

وردت كلمة «المطهرين» مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة/ ٢٢٢ فزيادة المبنى في كلمة «المطهرين» يدل على زيادة المعنى، فالتطهر هو التنزه عما لا يحل، وهم قوم يتطهرون أي يتنزهون عن الأدناس، وقوله تعالى:

«فيه رجال يحبون أن يتطهروا» فإن معناه الاستنجاء بالماء نزلت في الأنصار.

وحذفت حرف التاء من المتطهرين لتكون المطهرين يدل على سرعة الاستجابة لأمر الله تعالى، فهم يتطهرون كلما أحدثوا فهم يسارعون إلى الطهارة ليكونوا دائما طاهرين يقول تعالى في مدح المطهرين ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة / ٧٩

عباد - عبادي

وردت كلمة عباد مكسورة الدال محذوفة الياء في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزمر/ ١٧

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ الزمر/ ١٠

والخطاب فيها في الآية الأولى للنبي ﷺ أن يبشر عباد الله المخلصين بالثواب المقيم، وفي الثانية خطاب الله لعباده وحذف الياء ليدل على الصلة وقرب الإنسان من ربه، فلا فاصل ولا واسطة بين العبد وربّه فالمقام مقام قرب ورحمة، وعلى المرء أن يتجه إلى ربه يسأل ما يريد، فإن محبة الله أساس الحياة الكريمة والسعادة في الدارين.

وفي الآية الثانية الخطاب للنبي ﷺ بأن يقول للناس إنكم عباد الله فيجب عليكم أن تتقوه، فإن الله أعد للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ويوم القيامة يوفيهم أجرهم بغير حساب، فما على الرسول إلا البلاغ، وعلى العبد الالتجاء إلى الله ربه فإنه قريب مجيب قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة / ١٨٦

العلماء - العلموا

وردت كلمة العلماء مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُهُ بَنِي إِرْيَافَ﴾ الشعراء / ١٩٧

وقوله تعالى: ﴿تَخَشَّى اللَّهُ مِّنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر / ٢٨

وهي في الحالتين في محل رفع فاعل، ولذلك مدت الضمة فأتى بعدها واو حتى تخرج اللفظ من حيز النصب فلا يلتبس الفاعل بالمفعول به وخاصة في الآية الثانية ﴿تَخَشَّى اللَّهُ مِّنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر / ٢٨

وزيادة المبنى يؤكد زيادة المعنى ويقصر الخشية الحقيقية لله تعالى على العلماء العاملين الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه، فهم لا يستوون مع الذين لا يعلمون يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر / ٩

فاءو

وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ فَإِنْ فَاءو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ البقرة / ٢٢٦

حيث وردت الكلمة ناقصة للألف الفارقة بعد واو الجماعة لتدل على السرعة في العودة إلى الحياة الزوجية، فالحياة الزوجية مبنية على الوثام والوفاق وحسن العلاقات لتقوم على المودة والرحمة، ومن ثم فالإيلاء بالقسم قطيعة لأواصر الحياة الزوجية، فإن رجع الرجل

إلى زوجته بعد المدة المحددة أو قبلها فإن الله بهما غفور رحيم.

والآية الكريمة جاءت بدون ألف لتوحي بوجوب المسارعة في العودة إلى عش الزوجية حرصاً على استقرار الحياة، وأمن المجتمع، ولذلك وعد الله التائبين العابدين الذين يرجعون إلى استقرار بيوتهم الزوجية وعدهم بالمغفرة والرحمة.

وإن أصروا على العناد والابتعاد وعزموا الطلاق فإن الله سميع عليم يقول تعالى:

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة / ٢٢٧

فَسئَل - وسئَل

حيثما ورد لفظ فاسئَل فإنه يرد بلا ألف فاصلة كقوله تعالى:

﴿فَسئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يونس / ٩٤

﴿وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف / ٨٢

فَسئَلُوا ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ النحل / ٤٣

والحذف يوحى بالتلهف والسرعة والعجلة في الاستبيان ومعرفة الحكم ولذلك جاء حذف الحرف دليلاً على سرعة النداء والتعجل في السؤال لمعرفة الحكم بسرعة، إشفاء للصدر المتلهف للمعرفة يقول تعالى:

﴿وَسئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء / ٣٢

فلا تمل الدعاء، ولا تياس من الجواب، فإن المعطى لن يمل حتى تملوا يقول الشاعر:

فالله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

فإن - أفأين

وردت فإن في القرآن الكريم ٢٢٣ مرة ووردت أفأين بهذا الرسم مرتين فقط في القرآن الكريم فإذا أنعمنا النظر في الآيات الكريمة نجد أن «فإن» وردت في الأمور العادية العامة للناس كقوله تعالى:

﴿فَإِنْ خَرَجْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة / ٢٤٠

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا مَا بِمِثْلِ ءَامَنُكُمْ بِهِءَ فَقَدِ ءَاهْتَدَوْا﴾ البقرة / ١٣٧

فإذا جاء الحديث عن أمر خاص بوفاة النبي ﷺ تغير الرسم القرآني مؤكداً أن الخلود لله تعالى، أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تتلقى هذا الأمر بنفس راضية، فما محمد إلا رسول، وليس أبا أحد من رجالهم يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبَتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران/ ١٤٤

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ (أَفَلَا يَنْفَكُ مَاتَ فَهُمْ أَلْخُلْدُونَ﴾ الأنبياء/ ٣٤ فلم ترد هذه الكلمة بهذا الرسم إلا في هذين الموضعين المتعلقين بوفاة النبي ﷺ لأن المسلمين كانوا يظنون أنه سيبقى بينهم مدة طويلة وهاهم موته حتى قال عمر: من قال روح المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبريها يقول الشاعر حافظ إبراهيم مصورا موفق عمر بن الخطاب:

أنساك حبك طه أنه بشر يجري عليه شئون الكون مجريها
وأنه وارد لا بد مورده من المنية لا يعفيه ساقبها

فصالة - فصالة

وردت كلمة فصالة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ البقرة/ ٢٣٣

والآية الكريمة تشير إلى رغبة أحد الزوجين المطلقين في فصال الصغير قبل بلوغه عامين، والفصال يترتب عليه الانفصال والتباعد ولذلك جاء الرسم مصورا هذا الابتعاد والانفصال بين الزوجين من جهة بالطلاق، وبين الأم وطفلها قبل مرور عامين، ولا يحدث هذا إلا في أضيق الحدود لما فيه من إضرار بالصغير الذي يسترضعه الزوج عند مطلقة فيؤدي الطلاق إلى آثار سلبية تنعكس على الطفل الصغير فيفطم قبل مرور عامين.

أما كلمة «فصالة» فقد وردت في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ لقمان/ ١٤

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف/ ١٥، وقد وردت بدون ألف وسيطة فاصلة لتدل على ارتباط الطفل بأمه وتعلقه بها، وشده حرصه على الالتصاق بها حتى يتشبع من العطف والحنان وينشأ سويا.

قُرْءَانًا - قُرْءَانًا

وردت كلمة «قُرْءَانًا» في القرآن الكريم ٦٨ مرة فوردت بالألف الصريحة في كل المواضع عدا آيتين، فوردت بالألف كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الرعد / ٣١

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ طه / ١١٣

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الجن / ١

أما الآيتان التي وردت فيها كلمة قراءنا بلا ألف فهما قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف / ٢

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزحزف / ٣

وإذا أنعمنا النظر في الآيات الكريمة نجد أن الآيات التي نزلت فيها كلمة «قُرْءَانًا» بالألف الفاصلة الصريحة وهي معظم الآيات الكريمة تدل على أن القرآن نزل منجما مفرقا في آيات مختلفة لإصلاح المجتمع الإسلامي ولترسيخ العقيدة، ولتثبيت قلب النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء / ١٠٦

أما الآيتان التي ورد فيها كلمة «قُرْءَانًا» بلا ألف وسطية فتدلان على إنزال القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا ثم تتابع نزوله مفرقا مدة الوحي على قلب المصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر / ١

ونلاحظ استخدام لفظ أنزل وهو يدل على الإنزال جملة واحدة وفي الحديث عن القرآن قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّدًا مَثَانِي﴾ الزمر / ٢٣، وفي الحديث عن التوراة والإنجيل قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران / ٣

فقوله تعالى في آية واحدة أنه ﴿نَزَّلَ﴾ القرآن دليل على التفرق والتتابع وفق حاجة الأمة الإسلامية في فترة الوحي، ومن العجيب أن تنظم الآية الواحدة بإعجازها القرآني بين حقيقة نزول القرآن مفرقا متتابعًا وإنزال التوراة والإنجيل جملة واحدة في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران / ٣

قرة - قرت

وردت كلمة « قرة » بالتاء المربوطة مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ الفرقان / ٧٤

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة / ١٧

ووردت مرة واحدة بالتاء المفتوحة في قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ القصص / ٩

وإذا أنعمنا النظر في الآيات الكريمة نرى أن كتابة كلمة « قرة » بالتاء المربوطة جاء حكماً عاماً، فلما انتقل الحديث إلى امرأة فرعون فكان حديثاً خاصاً حيث قالت لا تقتلوه فإنه قرة عين لي ولك وفي الكلمة انبساط واتساع الحياة وبهجتها، حيث كانت لا تنجب وجاءها ولد وجيه ألقى الله محبته في قلوب من يراه.

فقد ورد في الآية الكريمة « امْرَأَت » « وقرت » فأصبح هناك من التجانس اللفظي ما يشير إلى أحكام جديدة، لم تتوافر في غيرها، فجاء الرسم بالتاء المبسوطة مصوراً انبساط السعادة والفرحة على امرأة فرعون، وبيان منزلة الوليد ومكانته لأنه سيكون له شأن غير عادي وليترى في بيت السلطان ويكون وفيما الله تعالى يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طه / ٣٩

القواعد - القواعد

وردت كلمة القواعد في القرآن الكريم ثلاث مرات، وردت في مرتين بالألف الصريحة

بعد الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ البقرة / ١٢٧

﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ النحل / ٢٦

نرى أن القواعد هنا قواعد مادية قائمة على أسس بنائية، فالقواعد من البيت الحرام رفعها إبراهيم عليه السلام وساعده ابنه إسماعيل عليه السلام وارتفع البناء فجاء الرسم القرآني معبراً عن الارتفاع في البناء بذكر الألف في كلمة القواعد.

أما الآية الثانية فنرى تصوير الحق العقاب الواقع على النمروذ الذي بنى صرحا يريد أن يطلع إلى إله موسى فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم سقف البناء وكانوا عبرة لكل معتبر وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

وفي الآية الثالثة نرى اختلافا عظيما في الرسم ينشأ عنه اختلاف في المعنى ففي قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَتٍ بِزِينَةٍ﴾ النور / ٦٠

ونلاحظ مجيء كلمة القواعد بلا ألف فهي تشير إلى الانكماش والضعف والعجز وملازمة البيت، ولذلك وجب عليهن إذا تخففن من ملابسهن ألا يتبرجن بزينة حرصا على عدم الإثارة والفتنة وصيانة للحياة الكريمة والعفة.

كتاب - كتب

وردت كلمة كتاب بدون ألف ٢٥ مرة في القرآن الكريم سواء أكانت نكرة أم معرفة بأل كقوله تعالى:

« ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » البقرة / ٢

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ » البقرة / ٨٩

فهى تشير إلى القرآن الكريم أو الكتب السماوية الأخرى، وغيرها، وتشير الآيات الكريمة إلى أن الكتاب يجب أن يؤخذ به كاملا جملة واحدة دون تميز أو انتقاء فهو منهج سهاوى شامل فيه صلاح الفرد والمجتمع، ولذلك عاتب الحق سبحانه وتعالى من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض لأنه منهج واحد متكامل، يجب أخذه كاملا قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) ﴾ البقرة / ٨٥

وقد وردت كلمة كتاب بالألف الصريحة أربع مرات في القرآن الكريم وفي كل مرة لها معنى مختلف يفهم من السياق القرآني كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرعد / ٣٨

وهى تشير إلى أن لكل أجل مدة محددة مكتوبة في كتاب الأعمار، فالآجال مختلفة، والبشر مختلفون، فجاء الرسم بالألف ليوضح التباين والاختلاف في مدة الآجال وكذلك

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ الحجر / ٤

أي أجل محدد لإهلاكهم، واستخدام من يفيد من بداية ما يطلق عليه اسم قرية صغر ذلك أم كبر فكل ذلك في كتاب معلوم.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَوتِلُ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ (لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ الكهف / ٢٧

فهى تشير إلى أن القرآن الكريم نزل آيات متفرقات وسوف يجمع الله بينها في كتاب محكم لا يتغير، ولن ينالها التبديل أو التحريف مصداقا لقوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر / ٩

كلمة - كلمت

وردت كلمت بالتاء المبسوطة في ست آيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: وَتَمَّتْ

كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿الأعراف / ١٣٧

وهى تشير إلى قضاء أخروى بالصدق والعدل والجزاء المناسب للعمل، وتفيد التجانس مع الكلمات المجاورة نحو تمت، كلمت وتتسع لشمول من تتحدث عنهم ووردت الكلمة في عشرين موضعا في القرآن الكريم بالتاء المربوطة كقوله تعالى:

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ آل عمران / ٣٩

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ آل عمران / ٤٥

وهى توحى بمعجزة أو آية من الله تعالى في خلقه، فإذا استخدمت التاء المبسوطة فهي تشير إلى حكم سماوي أخروي، أما كلمة بالتاء المربوطة فهي تشير إلى إعجاز إلهي في الكون ... والله أعلم.

كل ما - كلما

كلما وردت موصولة في ٢٨ مرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ﴾

البقرة / ٢٠ وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرٍ رَّزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ البقرة / ٢٥

وجاءت مفصولة في ثلاثة مواضع هي: ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ النساء / ٩١

وفي تعليل ذلك يقوم الزركشى: فما ردوا إليه ليس شيئا واحدا في الوجود بل أنواع

مختلفة في الوجود، وصفة مردهم ليست واحدة بل متنوعة، فانفصل لأنه لعموم شيء مفصل في الوجود.

وفي: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ إبراهيم / ٣٤ فحرف .. «ما» واقع على أنواع مفصلة في الوجود، وفي ﴿كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُوهَا كَذَبُوهُ﴾ المؤمنون / ٤٤

والأمم مختلفة في الوجود فحرف .. «ما» وقع على تفاصيل موجودة لتفصل، وهذا بخلاف قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة / ٨٧

والمخاطبون على عهد النبي ﷺ لم يقتلوا الأنبياء، إنما باشره آبائهم ولكن مذهبهم في ذلك واحد، فحرف «ما» إنما يشمل تفاصيل الزمان، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود وإلا بالفرض والتوهم.^(١)

ونلاحظ أنها إذا دلت على أشياء مختلفة في الوجود فصلت باختلاف حاجات القوم في قوله تعالى ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ إبراهيم / ٣٤

إيلاف - إيلافهم

وردت كلمة «إيلاف» مرة واحدة في القرآن الكريم بدون ألف فاصلة لتدل على تعلقهم وشدة ارتباطهم بالقبائل الأخرى بل والبلاد المجاورة عن طريق رحلاتهم التجارية وزيارة الوفود لهم في المواسم المختلفة.

وقد جاءت كلمة «إيلافهم» بلا ألف ولا ياء وهي توحى بالمحبة المتبادلة بين قريش وغيرها من القبائل المجاورة والبلاد الأخرى حتى شمل هذا التآلف أهل الشام وأهل اليمن الذين يتعاملون مع قريش في رحلة الشتاء والصيف.

وترجع شدة التآلف وتعلق القلوب البشرية بقرين خاصة وبأهل مكة عامة استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿فَأَجْعَلْ أَعْيُنَ النَّاسِ نَهْيًا﴾ إبراهيم / ٣٧

لدا - لدى

وردت كلمة «لدا» في القرآن الكريم بالألف القائمة مرة واحدة في قوله تعالى:

(١) البرهان في علوم القرآن / ٢٨٨

﴿قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ يوسف / ٢٥

حيث تشير الآية الكريمة إلى وقوف زوجها عند الباب، وهي تجرى وراء يوسف عليه السلام لأنه لم يستجب لما أمرته به، ففر إلى الخارج وهي تلاحقه حتى لا ينكشف أمرها، أو يقول هو ماذا طلبت منه، فقدت ملابسه من الخلف وهي تحاول اللحاق به، فلما وصلت إلى آخر الأبواب وجدت زوجها قائما فقالت متهمة يوسف بأنه أرادها بسوء ولا بد أن يكون جزاؤه السجن أو العذاب الأليم، وصدق قول الحق سبحانه ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾ يوسف / ٢٨

والرسم القرآني يبين المفاجأة التي قابلت امرأة العزيز، ويبرز شدة ذكائها وقدرتها على الاتهام المباشر وتبرئة نفسها، فلما تدخل في الحكم في الموقف رجل من أهلها وقال ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقْتُ﴾ يوسف / ٢٦

كانت المفاجأة أن قميصه قد من دبر وأن يوسف عليه السلام صادق وهي كاذبة وقد أراد الحكم أن يظهر براءتها فقدم دليل البراءة على الإدانة، ولكن الله ناصر الحق، عاصم الأنبياء عن الزلل.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ غافر / ١٨ فإنها وردت في الرسم بالألف المقصورة وليست القائمة لتدل على مدى امتداد الضيق بالنفس البشرية من هول الموقف وشدته يوم القيامة.

ويعلق شملول على الآية الكريمة بقوله «ويوحى استخدام حرف «ى» في نهاية كلمة «لدى» وبداية كلمة «الحناجر» بأنه ليس هناك التصاق كامل بين القلوب والحناجر، إنما هناك مسافة يرمز لها استخدام حرف «ى» بشكله الممتد.

ويؤيد ذلك ما ورد في الآية الكريمة ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ الأحزاب / ١٠

حيث توضح كلمة «بلغت» معنى الدنو وليس الالتصاق، وقد أثبت الطب الحديث أن هناك عصبا يربط بين القلب والحنجرة، بحيث إنه حين يواجه الإنسان موقفا خطيرا يزداد نبض القلب فإن أثر هذا النبض يصل إلى منطقة الحنجرة، فكأنما القلب وصل إلى الحنجرة.^(١)

لعنة - لعنت

وردت كلمة «لعنة» ١٣ مرة في القرآن الكريم منها ١١ مرة بالتاء المربوطة ومرتين بالتاء المبسوطة، ومن أمثلة ورودها بالتاء المربوطة قوله تعالى:

﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة / ٨٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ البقرة / ١٦١

وتشير الآيات الكريمة التي وردت بها كلمة «لعنة» إلى كونها لعنة عامة على جنس الكافرين فهي لعنة شاملة تلعنهم وتطردهم من رحمة الله لأنهم عرفوا الحق وكفروا به فاستحقوا العذاب.

أما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران / ٦١

فالآية الكريمة وردت في شأن وفد نجران الذين باهلوا النبي ﷺ واختلفوا في شأن عيسى عليه السلام فلما جادلوه قال لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل متضرعين إلى الله أن يلعن الكاذبين فخافوا وعاهدوه ﷺ على الجزية يقول ابن عباس ؓ:-

لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا ولو خرجوا لاحترقوا^(١)

والآية الأخيرة هي قوله تعالى: ﴿وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النور / ٧

وقد نزلت في الملاعنة بين الزوجين عند اتهام المرأة بارتكاب الفاحشة ويلاحظ الباحث أنها لعنة خاصة وليست عامة فإذا وردت كلمة لعنة بالتاء المربوطة فهي تشير إلى لعنة عامة على الكفار، وإذا وردت بالتاء المبسوطة فهي تشير إلى لعنة خاصة.

لكي لا - لكيلا

وردت موصولة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿لِكَيْلَا مِنْ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ الحج / ٥

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ الأحزاب / ٥٠

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ الحديد / ٢٣

(١) تفسير اللالين: الآية ٦ من سورة آل عمران

ونلاحظ دخول حرف النفي على معنى كلى شامل لجميع أجزائه يقول الزركشى:
«وإنما يوصل حيث يكون حرف النفي داخلا على معنى كلى فيوصل لأن نفي الكلى نفي
لجميع جزئياته، فعلة نفية هي علة نفي أجزائه، وليس للكل المنفى أفراد في الوجود، وإنما ذلك
فيه بالتوهم، ويفصل حيث يكون حرف النفي داخلا على جزئي، فإن نفي الجزئي لا يلزم منه
نفي الكلى فلا تكون علة نفي الجمع.

ومن أمثلة المفصلة: «لكي لا يعلم بعد علم شيئا» النحل / ٧٠

لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار، وهو في الأول عام الاعتبار لدخول «من» عليه
وكذلك ﴿لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾
الأحزاب / ٣٧ فهذا المنفى هو حرج مقيد بظرفين^(١)

ومنه أيضا: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر / ٧

اليل - النهار

وردت كلمة الليل في القرآن الكريم ٧٤ مرة كلها بلام واحدة مخالفة بذلك الرسم
الإملائي المعروف منذ الأزل، ونقص الحرف من كلمة الليل يوحى بقصر الليل فترة الراحة
والهدوء على قرير العين، وإن كان يبدو طويلا على من بات مؤرقا مسهدا يقول الشاعر:

فيالك من ليلٍ كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يبذل

أما كلمة النهار فقد وردت الكلمة ٥٤ مرة بالصورة العادية دون حذف وفي ذلك
إيجاء بأن وقت النهار كامل يكون لكسب الرزق والسعي على أمور العيش، وأداء العبادات
ولكل وقته فيجب على العاقل أن ينظم وقته بين العمل والعبادة، فلا يقصر في أحدهما على
حساب الآخر قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ المزمل / ٧

مئة - مائتين

وردت كلمة مئة في القرآن الكريم ٨ مرات بزيادة حرف الألف كقوله تعالى:

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ البقرة / ٢٥٩

(١) البرهان في علوم القرآن / ٢٩٠

وقوله: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ﴾ البقرة / ٢٦١

فكتبت مائة بالألف وفي تعليل ذلك يقول المراكشي: «لأنه اسم أشتمل على كثرة مفصلة بمرتينين آحاد وعشرات، فهو تضعيف العشرة عشرة أمثال الذي هو تضعيف الواحد عشرة أمثال، فالمائة أضعاف الأضعاف للواحد ففيها تفصيل الأضعاف مرتين، لذا زيدت ألف مائتين أيضاً، تنبئها على المرتبتين في الأضعاف، وليس زيادة الألف في «مائة» للفرق بينها وبين «فئة».

معصية - معصيت

وردت كلمة «معصيت» في القرآن الكريم مرتين مرتبطة بالرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ المجادلة / ٨

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾

المجادلة / ٩

فجاءت الكلمة مرتبطة بالرسول ﷺ لتدل على عظم الذنب والجرم الذي ارتكبه من مناجاتهم الرسول ﷺ بالإثم والنظر إلى الصحابة وهم يتحدثون سرا ليثيروا في قلوبهم الريبة، وهذا إثم عظيم فجاء التعبير عنه بالتاء المبسوطة التي تشير إلى عظم الذنب الذي اقترفوه بمخالفتهم الرسول ﷺ والتناجي بالإثم والعدوان.

المشارك والمغارب

وردت كلمة المشارق والمغارب ٣ مرات في القرآن الكريم بدون ألف وسيطة في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ الصافات / ٥

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ المعارج / ٤٠

وحذف الألف دليل على التقارب بين المشارق والمغارب بحيث تشير إلى عدم وجود فواصل بين المشارق أو المغارب فهي أماكن متقاربة ولكنها مختلفة من حيث أوقات شروق الشمس أو غروبها، وهذا ناشئ عن حركة دوران الأرض حول الشمس فينشأ عنه العديد من المشارق والمغارب.

الملأ - المملؤا

وردت كلمة المملأ بصورتها العادية ١٧ مرة في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الأعراف / ٦٠

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف / ١٠٩

وهي بالصورة العادية تشير إلى قوم لهم صفات محددة كالأشراف من قوم فرعون أو المملأ الذين استكبروا من قومه عن الإيذان وقالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا.

أما المملأ مع قوم نوح عليه السلام فهم مملأ مختلفون حيث ظل يدعو قومه ٩٥٠ سنة إلى عبادة الله تعالى، وترك عبادة الأوثان فأعرضوا واستكبروا وأوصوا أبناءهم بالعصيان والتمرد فكانوا كما صورهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْءَ إِذَاهِمٍ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ نوح / ٧

حتى دعا عليهم نوح عليه السلام بقوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿١٥﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَظْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح / ٢٦ / ٢٧

فالملأ هنا مختلف عن المملأ السابقون، ولذلك جاء الرسم القرآني بالزيادة في المبنى ﴿المملؤا﴾ حتى يعبر عن الزيادة في العدد والكفر والإصرار على المعصية وإضلال الآخرين فهم قوم ضالون مضلون متمردون يعينون غيرهم على العصيان والتمرّد فهم أساطين الكفر والضلال والاستكبار وانظر إلى تصوير القرآن الكريم لا استكبارهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ المؤمنون / ٢٤ ولم يقولوا مثلنا فهذا يدل على التكبر والتعالي والإفساد في الأرض فهم مملأ غير عاديين.

وكذلك المملأ المحيطين ببلقيس مكلة سبأ فهم مقربون منها ولهم مكانة في نفسها فهي لا تقطع أمرا دون أن تشرّكهم فيه قال تعالى:

﴿قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ النمل / ٢٩.

فالملأ عند بلقيس له قيمة ومكانة عظيمة تختلف عن المملأ من أهل فرعون الذين كانوا يطيعونه ولا يراجعونه في شيء، أما هذا المملأ فهم ذوو مكانة عظيمة، ومنزلة عالية، يؤخذ

رأيهم ويعمل به في تصريف أمور الحكم قال تعالى:

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ﴾ النمل / ٣٢.

وكذلك الملاء مع نبي الله سليمان عليه السلام فهم لهم مكانة عظيمة تؤهلهم لمجالسته وإعانتة على تنفيذ أمر الله تعالى قال تعالى:

﴿قَالَ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل / ٣٨

فملاء سليمان كان يحتوى على العلماء وأصحاب الرأي والمشورة، وكان يحتوى على عفريت عنده قدرة خارقة حيث استأذن سليمان عليه السلام أن يأتيه بعرشها قبل أن يقوم من مقامه، ولكن الرجل الذي كان عنده علم من الكتاب استأذنه أن يأتيه بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه إذا فهم ملاء عظيم يستحق الإشادة به وذكره بصورة مختلفة.

الميعاد - الميعد

وردت في القرآن الكريم خمس مرات بألف صريحة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران / ٩، الرعد / ٣١

﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران / ١٩٤

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ سبأ / ٣٠ ﴿لَا تُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ الزمر / ٢٠

والميعاد في الآيات الخمسة يشير إلى يوم القيامة وهو معياد واضح صريح لا يتغير ولن يخلف الله الميعاد.

وقد وردت كلمة «الميعاد» برسم مختلف في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي

الْمِيعَادِ﴾ الأنفال / ٤٢

وهي تشير إلى معياد قريب بين البشر غالباً ما يخلفه البشر لظروف خارجة عن إرادتهم لأن الذى يملك الميعاد هو الله تعالى الذى يملك الدنيا ومن عليها ويملك شئون الكون في السماوات والأرض ولذلك لا يخلف الميعاد الذى وعده عباده فهم يروونه بعيداً ويراه الحق سبحانه وتعالى قريباً يقول تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۚ﴾ المعارج / ٦ / ٧

حذف الياء نذر - يهدين - تسألين

تحذف الياء اكتفاء بالكسرة نحو: « فارهبون » « فاعبدون »

قال أبو العباس: الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيها.

فالأول هو باعتبار ملكوتي باطن ينقسم قسمين: ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة.

فالأول: إذا كانت الياء ضمير المتكلم مثل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ القمر / ١٦

ثبتت الياء الأولى لأنه فعل ملكوتي، وكذلك ﴿فَمَاءَاتِنِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَنَكُم﴾ النمل / ٣٦ حذف الياء لاعتبار ما أثار الله من العلم والنبوة، فهو المؤتى الملكوتى من قبل الآخرة وفى ضمنه الجسماني للدنيا لأنه فان والأول ثابت. (١)

ويلاحظ الباحث أن الفعل إذا كان من الأمور الملكوتية الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى أتى الفعل بحذف ياء المتكلم وحلت محلها الكسرة دليلاً عليها كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ هود / ٤٦ فإذا كان الفعل من الأمور الدنيوية المحسوسة ثبتت الياء في الفعل كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف / ٧٠ فالسؤال هنا عن أشياء محسوسة في الواقع كخرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ الإسراء / ٦٢

رسمت كلمة أخرتني بدون ياء وذلك لأنها تتحدث عن تأخير العقاب أو المؤاخذه حتى يوم القيامة، فلما تحدث عن تأخير جسمي ذكرت الياء كما قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ المنافقون / ١٠

فإذا كان الحديث عن أمور غيبية ملكوتية تحذف الياء رسماً لا نطقاً، ويعوض عنها بالكسرة دليلاً عليها، فإذا جاء الحديث عن أمور مادية محسوسة تغير الرسم وذكرت الياء

(١) الزركشى: البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧٧

لتدل على الفرق بين الملكوتي والمحسوس كما في قوله تعالى: ﴿عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا﴾ الكهف / ٢٤

فهي تتحدث عن هداية ملكوتية لا محسوسة، فلما كان الحديث عن هداية معرفية محسوسة ذكرت الياء تعبيرا عن الفرق بين المحسوس والملكوتي كقوله تعالى على لسان موسى: ﴿عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ القصص / ٢٢

نعمت - نعمت

وردت كلمة نعمة بالتاء المربوطة ٢٥ مرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ آل عمران / ١٧١

وقوله تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ آل عمران / ١٧٤

ويلاحظ الباحث أنها تتحدث عن نعمة عامة تشمل كل من ينطبق عليه الحكم فإذا جاءت النعمة عامة شاملة رسمت بالتاء المربوطة التي تشمل الإحاطة بالجميع، أي بكل من ينطبق عليه استحقاق النعمة، فهي نعمة ظاهرة محسوسة أمام الجميع كقوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ النحل / ٥٣

فإذا كانت النعمة خاصة لعبد من عباد الله أو لعباده المؤمنين رسمت بالتاء المبسوطة لتشملهم وتتسع لهم فهي نعمة واسعة جزاء من أكرم المحسنين وهو الحق سبحانه وتعالى الذي يعطى عطاء لا حدود له كقوله تعالى: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ آل عمران / ١٠٣

فلاحظ أنها نعمة خاصة ألف الله بها بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج حيث كانت بينهما خصومات دائمة حتى ألف الله بين قلوبهم بالرسالة السماوية فدخلوا في دين الله أفواجا، وأصبح بينهم مودة ومحبة بعد أن كان بينهما الحروب والأحقاد والضغائن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ الطور / ٢٩

فهي تصور نعمة خاصة على النبي ﷺ فالحق سبحانه وتعالى يأمره بأن يذكر المشركين، ويخوفهم عذاب يوم القيامة فهو نعمة إليهم، وعليه ألا يبالي بقولهم أو اتهامهم له بالكهانة والجنون، فالحق سبحانه وتعالى يذكر رسوله بنعمه عليه وهذه النعم تستوجب شكرا

أداء حقها بتبلغ دعوة الحق وإقامة الحجة على المشركين، وعدم المبالاة بأقوال السفهاء منهم فما هو بكاهن ولا مجنون وكفى بالله شهيدا.

هاجر

وردت في القرآن الكريم ٢١ مرة «هاجر - مهاجر - المهاجرين - يهاجر»
ورسمت كلها بالألف الوسيطة لتدل على الانفصال عن الوطن والانتقال إلى أماكن
أخرى استجابة لأمر الله تعالى، ونشرا للدين الإسلامي كما في قوله تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ البقرة / ٢١٨
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ النساء / ١٠٠

واد

وردت في القرآن الكريم أربع مرات كلها بحذف الياء كقوله تعالى:
﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه / ١٢
وقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ القصص / ٣٠
وإذا أمعنا النظر في الآيات الكريمة التي وردت فيها الكلمة محذوفة الياء نرى أنها تشير
إلى واد ضيق صغير محدود، ولذلك جاءت الكلمة ناقصة لتدل على ضيق المكان وعدم
اتساعه.

يأت

جاءت محذوفة الياء إشارة إلى السرعة في الحدث، وغالبا ما يكون الحديث عن يوم
القيامة، وشدة الهول فيه كقوله تعالى:
﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ هود / ١٠٥
فإذا ذكرت الياء فهذا دليل على التمهّل في الحدث، والإمهال في الأمر كقوله تعالى:
﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ البقرة / ١٠٩
وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ
وَلَا خَلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً﴾ ٢٥٤

يبدأ - يبدأ

وردت كلمة يبدأ ٥ مرات في القرآن الكريم وجاءت متبوعة بكلمة الخلق في قوله

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الروم / ٢٧

وقوله ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يونس / ٤

وقد جاءت بهذا الرسم العثماني الذي أتى بالفعل مرفوعا بالضممة وأشبع الضمة فجاء بعدها الواو لتدل على أن بدأ الخلق أصعب من الإعادة، فهي إشارة إلى عظمة القدرة الإلهية في بدأ الخلق، ومن يبدأ الخلق يكون الإعادة أسهل عليه من البدء يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الروم / ٢٧.

حذف النون

تك - تكن

تحذف النون وهي لام «فعل» تنبيهها على صغر الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد إلى مالا يحيط بعلمه غير الله مثل: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً﴾ القيامة / ٣٧

حذفت النون تنبيهها على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره، بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثم يترقى في أطوار التكوين وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾ النساء / ٤٠

جاء حذف النون دليلا على أن الله تعالى برحمته الواسعة يضاعف أجر الحسنات وإن صغرت، وفي ذلك فتح لباب المسارعة في الخيرات، وعدم تحقير الطاعة أو الحسنة مهما صغرت فإن الله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ لقمان / ١٦ فإذا كان الأمر تاما ولا يحتاج إلى تصغير أو تقليل ذكرت النون وجاءت كلمة يكن كاملة الحروف إشارة إلى التمام والكمال والاتساع كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أََرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ النساء / ٩٧. وفي ذلك إقامة الحجة على من توفتهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم حيث يقولون لهم فيم كنتم؟ فيقولون، كنا مستضعفين في الأرض.

فيقولون لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟

وهي تؤكد اتساع فضل الله ونعمه، وما على العبد إلا السعي على رزقه وعدم التكاثر فإن أرض الله واسعة، وخيراته كثيرة.

حذف الواو

سندع - يمح - يدع

تسقط الواو بدون جزم في أربعة أفعال دلالة على سرعة الحدوث وسهولة وقوع الفعل، ومفاجأة الظالم وأخذه بالعقاب الأليم كقوله تعالى: ﴿سَدَّعُ الزَّيْنِيَّةَ﴾ العلق / ١٨ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ القمر / ٦

فهي تفيد سرعة دعوة زبانية جهنم لإقامة الحجة على المجرمين وتعذيبهم وقد جاءت الآيات الكريمة مشيرة إلى سرعة تنفيذ العقوبة على المخالفين الذين يستحقون العقاب والانتقام بعد أن أمهلهم الله تعالى فإزدادوا إثماً قال تعالى: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَجٍ بِالْبَصْرِ﴾ القمر / ٥٠

وقد أكد الحق سبحانه وتعالى على أن الباطل ضعيف مهما قوى في الدنيا، فإذا جاء الحق زهق الباطل بسرعة قال تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ الشورى / ٢٤

وهي توحى بسرعة زوال الباطل والقضاء عليه، وتخليص الناس من شره ففي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الشورى / ٢٤

نرى أن أم بمعنى بل يقولون افتري على الله كذبا، فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، ويمحو الله الباطل بسرعة ويحق الله الحق بكلماته أي يظهره بقوته فيكون الحق ظاهرا والباطل زهوقا.

هل تثبت الواو في يمحو؟

نعم تثبت وتزيد ألفا إذا كانت دالة على زيادة وتأكيد على قدرة الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد / ٣٩

أي يبدل الله منه ما يشاء وفق مقتضيات العصر، وتحول المسلمين من حال إلى حال حتى يكتمل الدين الذي حفظه الله عنده منذ الأزل، وكان ذلك مع كمال الدين، وإتمام النعمة وانتهاء النسخ في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة / ٣.

الوقف والابتداء

معنى الوقف: هو قطع النطق عن آخر الكلمة زمناً ما، فيتنبس فيه عادة بنية استئناف القراءة.

الابتداء: هو الشروع في الكلام بعد قطع أو وقف. ^(١)

أهمية الوقف والابتداء:

ينبغي أن يعلم القارئ أصول الوقف والابتداء حتى يستطيع فهم المعنى وإيصاله إلى السامعين، لأن الوقف قد يؤدي إلى فساد المعنى، ويترتب على ذلك حكم خطأ بني على وقف ممنوع. فالخادق لا بد أن يعرف متى يصل ومتى يقف، ومن أين يبدأ حرصاً على استقامة الأداء وصحة المعنى، وقد روى أبو دواد أن النبي ﷺ ضاق بالخطيب لما قال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما» ووقف فقال له النبي ﷺ بئس الخطيب أنت، قل: «ومن يعصهما فقد غوى» ^(٢) فالوقوف عند قوله: «ومن يعصهما أي يستوي مع من أطاعهما وهذا كفر والعياذ بالله تعالى، فلو تعلم الخطيب موضع الوقف لوقف حينما يتم المعنى فقد سئل الإمام علي عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمل / ٤ فقال: الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. ^(٣) ويقول ابن الأنباري: «ومن تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل، فهذا أول دليل على وجوب تعلمه وتعليمه. ^(٤) ويقول عبد القاهر الجرجاني: لو حاز التركيب أو النص الأدبي القبول ثم ألقاه غير خبير بفن الأداء، مطلع على ما به جودة الإنشاء، فوقف حيث لا يحسن أو ابتدأ بما يقبح، ألا يخفى ذلك من محاسنه؟ ألا يخل بجودته؟ ألا يوقع السامع في حيرة فينصرف عن محدثه، ولا يتلقى الكلام بالقبول؟ إن الأمر عندئذ يصير كحال من يعرض علي النظارة جمال صورة مصورة فيفتت أجزاءها ظاناً أنه يعرض جمالها بينما هو يقضي عليها» ^(٥)

(١) الصفاتي: تنبيه الفافلين / ١٢٨

(٢) رواه أبو دواد في سننه - كتاب الصلاة - خطبة الجمعة ١ / ٢٨٨، مسلم ٢ / ٥٩٤

(٣) النشر في القراءات العشر / ٢٢٥

(٤) أضواء البيان في معرفة الوقف والابتداء: عبد العزيز عبد الحفيظ / ١٣

(٥) دلائل الإعجاز:

ويقول زكريا الأنصاري: اعلم أن القارئ كالمسافر، والمقاطع التي ينتهي إليها القارئ كالمنازل التي ينزلها المسافر، وهي مختلفة بالتمام والحسن، وغيرها مما يأتي كاختلاف المنازل في الخصب ووجود الهواء والكأ... ولما لم يكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز له التنفس بين الكلمتين حالة الوصل، وجب اختيار وقت التنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة.. فان عرض له عجز بعطاس أو قطع نفس أو نحوه عندما يكره الوقف عليه، عاد من أول الكلام ليكون الكلام متصل بعضه ببعض، ولئلا يكون الابتداء بما بعده موهماً للوقوع في المحذور كما لو وقف علي فقير في قوله تعالي ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران ١٨١. وإذا أمعنا النظر في مواطن الوقف والابتداء نرى فائدته في توضيح معاني القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، والوقوف علي فرائده، والتعاش مع المعاني، والاستمتاع بالجو الروحي للقرآن الكريم.

روي أن عمر بن عبد العزيز ؓ كان إذا دخل شهر رمضان قام أول ليلة منه خلف الإمام يريد أن يشهد افتتاح القرآن، فإذا ختم أتاه أيضا ليشهد ختمه فقرا الإمام قوله تعالي: ﴿قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة ١١

ثم توقف عن القراءة وركع فعابه عمر وقال له: قطعت قبل أن تكمل القصة إذ كان ينبغي عليه أن يكمل الآية التي بعدها إذ فيها رد القرآن علي دعواهم وهو قوله سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة / ١٢. (١)

مقدار الوقف: يقد مقدار الوقف باستراحة النفس أي اخذ نفس طويل تستريح فيه الرئتين ويستطيع بعده مواصلة القراءة أو مقدار ما يشرب شربة ماء أو مقدار ثلاث تسيحات .

أنواع الوقف: اضطراري: وهو الوقف لضيق التنفس وعدم القدرة علي اتصال القراءة لضيق النفس أو النسيان فيقف حيث يضيق به النفس ثم يستأنف من بداية كلام متصل بعضه ببعض حتى يتم المعني.

اختياري

وهو ما يتوقف عنده القارئ باختياره من غير ضرورة وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) احمد سعد الخطيب: المعني القرآني في ضوء اختلاف القراءات / ٦٣

أ- الوقف التام: الوقف على كلام تم معناه نحو قوله تعالى ﴿وَأَنْكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ وبِالْأَلِيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿الصفات ١٣٧-١٣٨﴾

حيث نرى الوقف على ﴿وَبِالْأَلِيلِ﴾ تام وعلى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أتم فالوقوف التام يكون بالوقوف على كلام تم معناه، ولم يتعلق بما بعده لفظاً ولا معنى.
ويرمز له بالرمز «قل» ومعناه: ويجوز الوصل والوقف أفضل.

ب- الوقف الكافي: وهو الوقف على كلام يؤدي معنى صحيحاً تعلق بما بعده معنى لا لفظاً، ويرمز له بالرمز «ج» وهي علامة الوقف الجائز ويستوي فيه الوصل والوقف كقوله ﴿تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَائِمِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ البقرة / ١٩ حيث يستوي فيه الوقف على «الْمَوْتِ» والوصل أيضاً جائز.

ج- الوقف الحسن: وهو الوقف على كلام على كلام صحيح يتعلق بما بعده لفظاً ومعنى، ولذلك يحسن الوقف عليه والابتداء بما قبله أو بما بعده على حسب تمام المعنى كقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة / ١ فإنه يجوز الوقف على ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولكن لا يصح الابتداء بما بعدها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنها صفة لما قبلها ورمزه «صلي» أي يحسن الوصل ويجوز الوقف.

و- الوقف القبيح: وهو الوقف الذي لا يفهم المراد منه كالفصل بين المضاف والمضاف إليه كالوقوف على كلمة ﴿رَبِّ﴾ من قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأن المضاف إليه يتم معنى المضاف فهما متلازمان، وأقبح منه الوقف على ما يفسد المعنى ويغير الحكم كالوقوف على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ النساء / ١١ لأنه يوهم أن النصف للواحدة كما يكون للأبوين على السواء

ومثله أيضاً الوقف على كلمة «الموتى» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ الأنعام / ٣٦. فالوقوف على الموتى يجعلهم في حكم الذين يسمعون ويستجيبون وليس هناك تكليف على الموتى

الوقف اللازم:

هو الوقف على موضع أدى معنى صحيحاً ولا يتضح المعنى المقصود إلا بالوقوف عليه،

وعلامته «) كالوقف على كلمة «كبير» في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ البقرة ٢١٧ ومثاله أيضاً: الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ﴾ آل عمران ٧

فالوصل يوهم أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله أيضاً بذلك يختلف معنى التأويل، «لتأويل الذي يعلمه» ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هو ما خفي من معاني القرآن، وكان يحتاج إلى استنباط لا يقدر عليه إلا خواص العلماء، ولذلك كان ابن عباس ؓ يقول: «نا من الراسخين الذين يعملون تأويله»

أما التأويل الذي لا يعلمه إلا الله فهو معرفة أمور الغيب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لقمان / ٣٤

هل الوقف اجتهادي أم توقيفي؟

لو كان الوقف توقيفياً للزم إتباعه وأثم من يخرج عليه، ولكنه ميدان لتدبر كتاب الله تعالى، وفهم أسرارهِ، والوقوف على أحكامهِ ومعانيهِ وهذا عطاء متجدد لكل العصور فيستحب إتباعه.

هل يجب الالتزام به؟

يجب الالتزام بأحكام الوقف التي حددها العلماء لأنهم وضعوها بعد دراسات وتدبر وقد استنبطوا عليها كثيراً من الأحكام الفقهية، والخروج على هذه الأحكام يعرض القارئ للخطأ الذي يترتب عليه خطأ في العقيدة، ولهذا يجب الالتزام في الوقف والابتداء على ما اتفق عليه الأئمة لأن الأمة لا تجتمع على باطل، والخروج على الجماعة يعرضنا للشقاء يقول الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها.

الابتداء:

هو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف، فإذا كان الوقف لا يتم إلا عند اكتمال المعنى فإن الابتداء لا يصح إلا بما يكتمل به المعنى.

وللوقوف على خطورة الخطأ في الابتداء تتأمل هذه الآية الكريمة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة ٧٣

فالوقوف على قوله تعالى : «لقد كفر الذين قالوا» والاستئناف بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ يؤدي إلى القول بكلمة الكفر لأن الله إله واحد والابتداء يوهم بأن الله ثالث ثلاثة. ولذلك ينبغي الوقف على المعنى التام والابتداء بالمعنى التام حتى لا تقع في الخطأ الذي ينشأ عنه خطأ في الاعتقاد وخاصة عند من لا يعلم أحكام القرآن من الأميين وبسطاء المسلمين.

وأسوا منه الابتداء بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران / ١٨١ بعد الوقف على قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ آل عمران / ١٨١

وقد كان السلف الصالح يراعون أصول الوقف والابتداء لأنهم كانوا يتدبرون كلام الله تعالى. ويحرصون على العمل بما فيه، وكان بعضهم إذا قرأ ما أخبر الله به من مقالات الكفار يخفض صوته بذلك حياء من الله أن يتفوه بذلك بين يديه»^(١)

أمثلة تطبيقية لبيان أهمية الوقف والابتداء:

في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾ يوسف / ٢٤ يرى كثير من العلماء أن الوقف على ﴿هَمَّتْ بِهٖ﴾ وقف تام، ويرى فريق آخر أنه لا يوقف على ﴿هَمَّتْ بِهٖ﴾ ولكن على ﴿بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾^(٢)

وإذا أمعنا النظر في التفسير على الوقف الأول نرى أن تقدير الآية الكريمة: ولقد همت به ولولا رؤيته برهان ربه لم بها، فهم ينفون عنه حتى مجرد الهم، ويستندون في تأويلهم على التفسير اللغوي للأداة لولا فهي حرف امتناع لوجود، وبذلك يمتنع الهم لوجود برهان ربه.

يقول محمد أبو شهبه: «إنه القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه السابق واللاحق»^(٣)

ويعترض الزجاج على هذا الرأي قائلاً: إن لولا يقتدر جوابها باللام فلو كان الأمر على ما ذكر لقال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾ وهذا الرأي من الأمور الجائزة

(١) تنبيه الغافلين / ١٣٩

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ١١٠

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير / ٢٢٧

وليس الواجبة فجواب لولا قد يتقدم عليها وقد يأتي غير مقترن باللام في لغتنا العربية وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك واللغة تقاس على قواعد القرآن وليس القرآن هو الذي يقاس على اللغة لأنه الأصل واللهجات فرع ولا يقاس الأصل على الفرع يقول تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ القصص / ١٠ فالآية الكريمة وردت بجواز عدم اقتران جواب لولا باللام وهذا له سند في لغة العرب، وقد ورد القرآن الكريم بأفصح لسان عربي لا يشوبه الخطأ فينبغي قياس قواعد اللغة على أسسه فهو حافظ اللغة من الضياع.

ويقول الفخر الرازي: هذا يدل على أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء، وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل^(١).

والرأي الآخر يؤيد أصحاب الوقف على «برهان به» وحجتهم أن جواب لولا لا يمكن أن يتقدم عليها، وهو رأي غير صحيح لأن جواب لولا يتقدم عليها جوازاً.

ولهذا يقف أصحاب الرأي الثاني عند قوله تعالى ﴿بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ ويقولون: إن متعلق الهم من جهة امرأة العزيز يختلف عن متعلقة من جهة يوسف عليه السلام فامرأة العزيز همت بيوسف طلباً للفاحشة، ويوسف عليه السلام هم بها دفعاً وضرباً، وإنما عبر عن الدفع بالهم على سبيل المشاكلة اللفظية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ آل عمران ١٥ البقرة / ١٥^(٢) ويرى محمد رشيد رضا أن معنى الهمين واحد، فهي همت به أن تضربه بعد أن رفض الإذعان لهواها مع أنه في نظرها عبداً وهي سيده، وهو هم بذلك أيضاً، ولعل ذلك أرجح الآراء في تفسير الآية^(٣).

ويرى الباحث أن الهم من جهة يوسف هم بالانصراف والابتعاد عن المعصية لأنه نبي يرى برهان ربه أمام عينيه، وهو قدوة والأنبياء معصومون من الخطأ فهم بالانصراف والابتعاد عن الفاحشة فهمت وراءه لتمسك به حتى لا ينكشف أمرها فقدت قميصه من الخلف، وهذا دليل على الفرار من المعصية والابتعاد عن الإثم، وإلا فما فائدة قوله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه» والحق سبحانه وتعالى لم يضع لفظاً باطلاً ولا زيادة بلا معنى يقول

(١) التفسير الكبير ٢٥ / ٩.

(٢) تفسير القرطبي ٣٣٩ / ٥.

(٣) تفسير المنار ٢٢٩ / ١٢.

أبو شهبة: «الهم بالفاحشة لا يكون إلا بعد المراودة قبل الهم، فقد دل على أن الهم هنا من نوع آخر غير الهم بالفاحشة، وتفسير الهم بالضرب والبطش مقنع»^(١)

أسس الوقف والابتداء

أولاً: عدم الوقوف على ما لا يتم به المعنى:

من أهم الأسس التي يجب مراعاتها في الوقف والابتداء الوقوف عند إتمام المعنى واكتماله، وعدم الوقوف عند ما لا يتم به المعنى فإنه «لا يجوز أن يوقف على العامل دون المعمول، ولا المعمول دون العامل، وسواء أكان العامل اسماً أم فعلاً أم حرفاً، وسواء أكان المعمول مرفوعاً أم منصوباً أم مخفوضاً عمدة أم فضلة، متحدداً أم متعدداً.

ولا يوقف أيضاً على الموصول دون صلته، ولا على ماله جواب بدون جواب ولا على المستثنى منه قبل المستثنى، ولا على المتبوع دون التابع، ولا على ما يستفهم به دون ما يستفهم عنه، ولا على ما أشير به دون ما أشير إليه، ولا على الحكاية دون المحكي، ولا على القسم دون المقسم به، وغير ذلك مما لا يتم المعنى إلا به»^(٢)

فلا يقف على المبتدأ دون خبره لأن الخبر يكمل المعنى فلا يقف على «أذى» في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ البقرة / ٢٦٢

لأن الجملة السابقة «الذين» هي المبتدأ وما بعده صلته والخبر هو جملة لهم أجرهم. وكذلك لا يقف على «الذين» لأن ما بعدها صلتها والصلة لازمة للموصول لأنها موضحة له، فالوقف عليها يخل بالمعنى والوقف يجب أن يكون عند تمام المعنى.

وكذلك لا يفصل بين الفعل وفاعله حتى لا يلتبس الأمر ونقدر فاعلاً مقدراً والفاعل موجود في الآية الكريمة فلا نقف على كلمة «الأصال» في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النور ٣٦ / ٣٧ ولا يفصل بين

(١) الإسرائيليات في التفسير / ١٢٣

(٢) تنبيه الغافلين / ١٣٠

الشرط وجوابه فلا نقف على كلمة «العلم» في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّمٍ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة / ١٤٥ ، لأن الابتداء بما بعدها يوقع الخطأ في الفهم باتهام الرسول ﷺ بأنه من الظالمين والرسول ﷺ منزّه عن ذلك.

وكذلك لا يفصل بين الصفة والموصوف لأن الصفة تابع للموصوف موضح له ولذلك لا نقف على كلمة «قوما» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا أَلَلَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الأعراف / ١٦٤

١- لا يجوز الوقف على «بلى»:

وردت في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعاً وهي على ثلاثة أنواع:

١- لا يجوز الوقف عليها لتعلق ما بعدها بما قبلها في المواضع السبعة التالية:

- ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ الأنعام / ٣٠ ، ﴿بَلَىٰ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ النحل / ٣٨
 ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُم﴾ سبأ / ٣ ، ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ﴾ الزمر / ٥٩
 ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ الأحقاف / ٣٤ ، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ التغابن / ٧
 ﴿بَلَىٰ قَنَدَرِينَ﴾ القيامة / ٤

٢- عدم الوقف في المواضع الخمسة التالية:

- ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لَّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾ البقرة / ٢٦٠ ، ﴿بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ﴾ الزمر / ٧١
 ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا﴾ الزخرف / ٨٠ ، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ الحديد / ١٤
 ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا﴾ الملك / ٩

٣- المواضع الأخرى يجوز الوقف عليها والابتداء بما بعدها.

ك

وردت في القرآن الكريم ٣٣ مرة منها ٧ للردع يوقف عليها بالاتفاق وهي:

- ﴿عَهْدًا﴾ مريم / ٧٨ ، ﴿عِزًّا﴾ مريم / ٨٢ ، ﴿كَلَّا﴾ الشعراء / ١٤ ، ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ الشعراء / ١٤ ، ﴿قَالَ كَلَّا﴾ الشعراء / ٦٢ ، ﴿شُرَكَاءَ كَلَّا﴾ سبأ / ٢٧ ، ﴿أَيْنَ الْكَافِرُ﴾ القيامة / ١٠ ، ﴿أَن أَزِيدَ﴾ المدثر / ١٥ ، ﴿كَلَّا﴾ المدثر / ١٦ والباقي بمعنى حقاً فلا نقف عليه.

الدراسات الصوتية

عناية العلماء بالدراسات الصوتية:

اعتنى علماء اللغة بالدراسات الصوتية إيماناً ومنهم بأهمية دراسة اللغة، فقد خصص اللغويون والنحاة أبواباً خاصة لدراسة العلوم الصوتية في لغتنا العربية وذكر صفاتها العامة والخاصة، ووضعوا القوانين الصوتية التي تحدد أصول هذا العلم.

ويضاف إلى جهودهم جهود العروضيين الذين وضحو كيفية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية معبرة، ثم رسموا أسس الكتابة العروضية التي تعتمد على النطق، فما ينطق يكتب، وما لا ينطق لا يلتفت إليه

ولا تخفى جهود علماء القراءات والتجويد في معالجة الظواهر الصوتية المختلفة كالإدغام والإظهار والإخفاء والإمالة وغيرها.

ويهدف هذا العلم إلى تمكين القارئ من الأداء الصحيح لنطق اللغة العربية ويعصم لسانه من الزلل في القراءة الذي يؤدي بدوره إلى زلل في الفهم واختلاف المعنى

نشأة الأصوات:

تنشأ الأصوات من اهتزاز الأجسام، وتنتقل الاهتزازات التي تؤدي إلى أصوات تنتقل عبر الهواء من مصدر الصوت إلى الأذن في شكل موجات صوتية وتعد الحنجرة مصدر الصوت عند الإنسان، فعند خروج الهواء من الرئتين يمر عبر الحنجرة التي تحتوي على خيوط صوتية تهتز فيصدر عنها صوت مناسب لقوة الاهتزاز، تنتقل إلى الهواء بعد صدورها من الفم والأنف في شكل دوائر لتقرع طبلة أذن السامع فتعز هزات مناسبة مع التموجات الصوتية الواقعة عليها ثم تنتقل إلى الأذن الوسطى ثم إلى المخ الذي يترجم هذه الموجات ويفسرها، ومن ثم ينطق بها الإنسان ويفهم مضمونها.^(١)

ويعتمد علم الأصوات على معرفة الوحدات الصوتية التي تتألف منها الكلمات، وتسمى كل وحدة صوتاً لغوياً يتميز عن الأصوات غير اللغوية عند الحيوان والطيور

كمواء القطعة ونباح الكلب، وزئير الأسد، وهديل الحمام وغيرها.
وكذلك يختلف عن الأصوات الناشئة عن احتكاك الأجسام كصرير القلم، وخرير المياه، يقول الجاحظ معرفا الصوت اللغوي «هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»^١

اهتمام اللغويين بالدراسات الصوتية

كان العرب قبل الإسلام وخاصة عرب البادية أفصح الناس بيانا، وأقومهم لسانهم، وكانت سليقتهم نابضة، وفطرتهم نقية، ولذلك كانت لغتهم صافية، ومعانيهم واضحة، وأساليبهم قوية، فلما نزل القرآن الكريم لم يشق علي الناس فهم معانيه، وتذوق بيانه لأنهم أفصح الناس، وقد نزل القرآن بلسانهم فكيف يشق عليهم فهمه.

ولم امتزج قام نحاة العرب بتخصيص أبواب في مصنفاتهم لدراسة الأصوات اللغوية كبيان مخارج الحروف، وكيفية النطق الصحيح، وتناولوا كثيرا من القضايا الصوتية الناشئة عن الإبدال والإدغام والإعلال وغيرها

وتناول علماء البلاغة تنافر الحروف واثلاثها في حديثهم عن الفصاحة وحسن البيان، وكذلك علماء العروض الذين تعرضوا لدراسة أوزان الشعر وقوافيه وما يتعلق بذلك من تقسيم الكلمات إلى مقاطع صوتية

أما علماء القراءات فقد كان لهم باع طويل في هذا الميدان حيث بينوا مخارج الحروف وصفاتها، وعالجوا كثيرا من القضايا الصوتية موضحين دلالتها وأهمية العمل بها حفاظا علي النطق السليم الذي يترتب عليه الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى ولذلك ظهرت عندهم مصطلحات صوتية مثل: الإظهار والإخفاء والإمالة والاختلاس والمد والوقف والترقيق والتفخيم وغيرها

أولا الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ

قام بترتيب معجمه العين ترتيبا صوتيا رائعا بعد قيامه بدراسة صفات الحروف ومخارجهم، وقوتها وضعفها ثم رتبها حسب قوتها فوجد حرف العين أقواها، وكان يضع حرف

الألف قبل الحرف الذي يريد معرفة قوته ثم ينطق به ساكنا نحو أب، أ، ت، أخ، أع فوجد أن حرف العين أعمق الحروف في الخلق فجعلها أول المعجم وسماه بالعين فهو يحاول إظهار الصوت ساكنا، ولا يختلط بغيره، ومن ثم يسهل تحديد صفته.

لماذا لم يبدأ بالهمزة؟

يقول السيوطي: «سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة

لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في بدأ كلمة ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به لتكون أحسن في التأليف، وليس العلم بتقديم شيء على شيء لأنه كله يحتاج إلى معرفة، فبأي بدأت كان حسنا وأولاهما بالتقديم أكثرها تصرفا.. (١)

وتعتمد الطريقة العلمية التي اتبعها الخليل طريقة دقيقة حيث قام بترتيب معجمه في ضوء النطق وبدأ بأبعد الحروف مخرجا ورتب

الحروف حسب مخرجها، وعلي هذا الأساس قسم مخرج الحروف إلى ثمانية مخرج هي

١- حلقية: تبدأ من الخلق ٢- هوية: تبدأ من اللهاة^(١)

٣- شجرية: تبدأ من شجر الفم أي مفرج الفم

٤- أسلية: تبدأ من طرف اللسان

٥- نطعية: لأنها تبدأ من نطع الغار الأعلى

٦- لثوية: تبدأ من اللثة

٧- ذلقية: تبدأ من ذلق اللسان

٨- شفوية: تبدأ من الشفة

ابن جني ق ٤ هـ

اعتمد علي ما قاله الخليل بن أحمد وجعل منه نقطة انطلاق إلى التجديد، فكرر ما قاله

الخليل من إضافة ألف الوصل قبل الحرف والنطق به، ولكنه جعل الألف مكسورا لا مفتوحا كما فعل الخليل، يقول ابن جني: «إذا أردت اعتبار صدي الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا، لأن الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: الك، اق...»

ويميز بين الأصوات من حيث الشدة فيقول: «ان بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام اد، اطا، ال، فلا تجد للصوت منفذا هناك، ثم تقول: اس، اص، از، اث، اف فنجد الصوت يتبع الحرف» (٢)

وعلل ابن جني اختلاف الأصوات وشبهها بوتر العود الذي يصدر أصواتا مختلفة نتيجة حركة الأصابع عليه فيقول: «ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضرب وهو مرسل سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين» (٣)

وتحدث عن الحركات وقال إنها أبعاص حروف المد واللين «وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة الكسرة والضممة..» «فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضممة بعض الواو»

وتحدث عن أثر إشباع هذه الحركات الثلاث وبيان ما ينشأ عنها من حروف مماثلة وهي القاعدة التي اهتدي إليها العروضيون في إشباع الحروف وإتمام الوزن في العروض والضرب من أجزاء البيت الشعري يقول ابن جني: إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن مطل الحركة وأنشأ عنها حرف من جنسها»

وأكد ابن جني على أن الحروف أسبق من الحركات، لأن الحرف أصل والحركة فرع ولا يمكن أن يسبق الفرع الأصل فيقول «محال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة، فهي لذلك محتاجة إليه فلا يجوز وجودها قبل وجوده، ولو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا، ألا تري أنك تقول: قطع فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت الطاء الثانية في المرتبة قبلها كانت حاضرة بين الطاء الأولى والطاء الثانية ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية لأن الحركة علي هذه المقدمة مرتبها

أن تكون قبل الطاء الثانية، بينها وبين الأولى، وإذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل المتحرك بها»

وقد كان اللغويون يرون أن الحرف يقتضي حركته لأنها لازمة له، وليست الحركة مستقلة كعنصر من عناصر الكلام، ولا يمكن النطق بها منفصلة عن الحرف الصامت «ويرون أن الحركات أبعاص الحروف -حرف المد- ورغم ذلك عاموا حرف المد معاملة خاصة، وعدوها غير الحركات القصيرة لذلك قالوا: إن القاف في «قال» محتمله لحركة تسبق الألف، وكذلك الميم في «رَمَي»، تتحمل حركة الفتحة قبل الألف

وهذا خلط لأن القاف متحركة بالفتحة الطويلة بعدها وهي الألف^(١)

التي تعد حركتين، ولا وجود لفتحة أخرى تسبقها، كما أن الصامت والحركة كل منهما مستقل عن الآخر ويمكن أداء أحدهما مستقلاً عن الآخر»

علاقة علم الأصوات بعلم التجويد

نال علم الصوتيات اهتمام الأدباء فترة طويلة قبل ظهور علم التجويد، فقد أفرد له النحاة واللغويون أبواباً في مصنفاتهم

فلما كانت الحاجة ماسة لظهور علم التجويد لم يجد العلماء أمامهم مفراً من الاعتماد على مصنفات النحويين التي كانت تعتمد على قضايا صرفية لغوية

الجهاز النطقي في الإنسان:

يتكون من أعضاء متحركة وأخرى ثابتة، فالمتحركة هي الشفتان واللسان والفك الأسفل، واللهاة والحنجرة، والأحبال الصوتية والرتان، والثابتة تشمل الأسنان واللثة والغار والجدار الخلفي للحلق

معرفة مخارج الحروف:

يعتمد علماء الأصوات على مخارج الحروف لاصفاتها لأن معرفة المخارج بمنزلة الوزن والمقدار، وقد جاء اشتقاق ألقاب الحروف من مخارجها لا من صفاتها «فكل مجموعة من الحروف تشترك في لقب لتقاربها في المخرج، وإن كان تقاربها لا يعني اتحادها، إذ لو اتفق

حرفان في المخرج والصفة لما صح أن يسميا حرفين بل كانا أجدران يعدا حرفا واحدا» (٣)

تحديد مخارج الحروف:

لكي تحدد مخرج الحرف سكنه أو شده وأدخل عليه ألف وصل قبله بأية حركة تشاء، وانطق به فحيث انقطع الصوت كان مخرجه^(١)

أقسام الحروف وأنواعها حسب مخارجها:

١- الحروف الجوفية (الهوائية): وهي أحرف المد الثلاثة، وهي الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وسميت جوفية نسبة إلى فراغ الحلق والفم، حيث ينقطع مخرجها، وسميت هوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم.

٢- الحروف الحلقية: «حتى إذا بلعت الحلقوم»: وهي الهمزة الهاء، والعين فالحاء، والغين فالحاء وهي مرتبة على ثلاث مجموعات فأقصاها مما يلي الصدر الهمزة والهاء، وأوسطها العين والحاء وأدناها مما يلي الفم الغين والحاء ولذلك نقول: همز فهاء، عين فحاء، غين فحاء على الترتيب من ناحية الحلق أي الصدر.^(٢)

٣- الأحرف اللهوية: وتنسب إلى اللهة بين الفم والحلق، وهما حرفان، القاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق، والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف.

٤- الأحرف الشجرية: وهي ثلاثة الجيم والشين والياء غير المدية، وتنسب إلى شجر الفم وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى

٥- الأحرف الذلقية: وهي اللام والنون المظهرة، والراء، وتسمى ذلقية لخروجها من ذلق اللسان أي طرف اللسان، فاللام تخرج من كلتا حافتي اللسان، والنون المظهرة من طرف اللسان أسفل من اللام، والراء أدخل في ظهر اللسان

٦- الحروف النطعية: وهي الطاء والذال والتاء وتسمى بذلك لأنها تنسب إلى النطع وهو سقف غار الحنك الأعلى.

٧- الأحرف الأسلية: وهي الصاد والسين والزاي ومخارجها بين أس اللسان وبين

(١) - المنهج الصوتي للبتية العربية ٣٥

(٢) يراجع في ذلك: سر صناعة الإعراب لابن جني، والمفصل للزمخشري وشروحه والشافية لابن الحاجب والتسهيل لابن مالك - مناهج البحث في اللغة: تمام حسان ١٢٣١

صفحتي الثنيتين العليين فالصا دأدخلها في هذا المخرج والسين أوسطها والزاي أبعدھا (١)
وتسمى أسلية لخروجها من أسلة اللسان وهو ما دق منه، وتسمى بالحروف الصغرية
لخروج صوت الصغیر عند نطقها. (٢)

٨- الحروف اللثوية: وهي الظاء والذال والطاء، ومخرجها متقاربة ما بين ظهر اللسان
مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين، وتسمى لثوية لخروجها من قرب اللثة.

٩- الأحرف الشفهية: وهي الفاء والباء والميم والواو غير المدية، وتسمى شفوية لأن
مخرجها إلى الهواء من الشفتين، فالفاء مخرجها من باطن الشفة السفلى وتسمى بحرية والميم
والباء والواو غير المدية تخرج مما بين الشفتين معا وتسمى برية

١٠- الأحرف الخيشومية: وهي النون الساكنة والتنوين حين الإدغام بغنة أو
الإخفاء وكذلك النون والميم المشددتان.

١١- مخرج الضاد: تسمى شجرية، وتخرج مما بين إحدى حافتي اللسان وما يحاذيها
من الأضراس العليا.

(١) ١- النشر في القراءات العشر ١٠٠١

٢- القول المفيد في التجويد ٣٨

٣- النشر في القراءات العشر ١ / ١٠١

صفات الحروف العربية

أولاً : الصفات المتضادة

١- الجهر والهمس:

الجهر: قوة اعتماد الصوت علي مكان خروجه فيمتنع جريان النفس معه، وهي أصوات يصحب نطقها تذبذب الأوتار الصوتية واهتزازها، وحروف الجهر هي: أ ب ج د ذ ر ز س ط ظ ع غ ق ل م ن و ي، ويجمعها «عظم وزن قارئ ذي عض جد طلب» وتكون قراءته بصوت مرتفع أو وضوح من المهموس

الهمس: ضعف اعتماد الصوت علي مكان خروجه فيجرى معه النفس، وهي أصوات لا يصحب نطقها اهتزاز الوترين الصوتيين وتكون مع الحروف التالية: (س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، س، خ، ص، ق، ط، الهمة) وتجمعها العبارات التالية: سكت فحثة شخص، والمهموس يهمس بقراءته وتكون قراءته بصوت منخفض

كيف أميز بين المهموس والمجهور؟

ضع الإصبع علي موضع الوترين بالحنجرة، فتشعر باهتزاز الوترين مع المجهور، ولا تشعر به مع المهموس، يقول إبراهيم أنيس: ولعل هذا الصوت - صوت الصدر - هو صدي الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة، وهذا الصوت نحس به ولا شك في الصدر كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع أو حين نضع الكف علي الجبهة فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة»^(١)

يقول الأخفش: سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال: وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلي تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق.....، وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها»^(٢)

(١) إبراهيم أنيس: الاصوات اللغوية / ٩٩

(٢) السابق / ٩٩

المجهور والمهموس في علم الصوت الحديث:

المجهور هو الصوت الذي يهتز أو يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، والمهموس هو الصوت الذي لا يهتز أو يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به»^(١)

التقارب بين الحروف:

يعتمد علماء الأصوات علي خصائص الحروف من حيث الجهر والهمس في التمييز بين الحروف المتقاربة يقول مكّي: لولا الجهر الذي في العين لكانت حاء»^(٢)

ويقول: ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غنياً إذ المخرج واحد، وكذلك الدال لولا الجهر الذي فيه لكان تاء إذ المخرج واحد، ولولا الهمس في السين لكانت زايًا، كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينا إذ قد اشتركا في المخرج والصغير والرخاوة والانفتاح والتسفل وإنما اختلفا في الجهر والهمس لا غير»^(٣)

٢- الشدة والرخاوة:

يعتمد هذا التصنيف علي كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف، فإذا حبس النفس في مخرج الحرف حبسًا تامًا ثم أطلق كان الصوت شديدًا انفجاريًا وتنحصر حروف الشدة في: الهمزة والقاف والكاف، والجيم والطاء والتاء والدال والباء، فإذا حبس الصوت عند النطق بالحرف لتمام قوة الاعتماد علي مخرجه كان شديدًا وحروف الشدة يجمعها: أجذك قطبت ومنها خمسة أحرف للقلقة إذا كانت ساكنة «قطب جد» وإذا حصل تضيق لمجرى النفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس الصوت رخوًا، والحروف الرخوة هي: الهاء والحاء والغين والخاء، والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء «

يقول ابن جنّي: وللحروف انقسام آخر إلي الشدة والرخاوة، فالشديدة ثمانية أحرف يجمعها «أجدت طبقك» و«أجذك طبقت»، والحروف التي بين الشدة والرخوة هي: ثمانية أيضًا يجمعها «لم يرو عنا» وإن شئت قلت: لم يرو عنا» وما سوي هذه الحروف والتي هي قبلها هي الرخوة»^(٤)

(١) السابق/ ٢١

(٢) مكّي: الرعاية/ ١٣٨

(٣) السابق/ ١٨٥

(٤) سر الإعراب ٦٩/ ١.

ملحوظة: الذي يجري مع حروف الرخاوة ولا يجري مع حروف الشدة هو الصوت أما الذي يجري مع حروف الهمس ولا يجري مع حروف الجهر إنما هو النفس.

٣- النفخيم والترقيق:

يطلق النفخيم على الأصوات الغليظة وهي صفة ناتجة عن الاستعلاء والإطباق ولذلك تكون كل أصوات الاستعلاء أو الإطباق مضخمة دائماً وهي «خ ص ض ط ظ غ ق» أما الترقيق فهو عكس النفخيم ويكون مع باقي الحروف العربية

يقول عبد الوهاب القرطبي: «إن النفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد»^(١) فالنفخيم نظير الإطباق والاستعلاء أيضاً يقول عبد الوهاب القرطبي: «فصار النفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك، نظير الاستعلاء والإطباق، ولهذا أثر الاستعلاء في الإمالة والترقيق فمنعها لأنها ضد، والفرق بين الاستعلاء والإطباق، وبين الترقيق والنفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الإطباق بخلاف الترقيق والنفخيم فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة، والنفخيم في الألف»^(٢)

النفخيم: تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، كما في حرف الصاد في أصعب واسلم حيث نرى أن الصاد تملأ الفم بصداها بخلاف السين ويرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى مع الصوت المفخم فإن وصل إلي الحنك الأعلى وإنطبق عليه سمي إطباقاً، فالإطباق جزء من النفخيم.

والعرب يطلقون على النفخيم الاستعلاء، والنفخيم أعم من الاستعلاء فكل استعلاء نفخيم وليس كل نفخيم استعلاءً.

فدائماً النفخيم (الاستعلاء) يكون في الحروف التالية (ص ض ط ظ غ خ) ويجمعها (خص ضغط قظ).

٤- الإطباق والانفخاج

الإطباق هو انحصار الصوت بين اللسان وما يحاذيه من الحنك نتيجة لانطباق اللسان على الحنك، وحروفه أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والظاء.

(١) الوضع / ١٨٠

(٢) السابق / ١٦٢

فإذا انحصر صوت الحرف بين اللسان والحنك الأعلى لارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى حتى يلتصق به سمي ذلك بالإطباق.

الانفتاح: وهو جريان النفس لانفراج ظهر اللسان عند النطق بالحرف وعدم اطباقه علي الحنك الأعلى، وحروفه خمسة وعشرون الباقية وهي: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي « يجمعها قولك (من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث)

يقول سيبويه وهو يتحدث عن صفات الحروف من حيث الإطباق والانفتاح: ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوي ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها»^(١)

ويقول مكّي وهو من علماء التجويد ت ٤٣٧ هـ: «وإنما سميت بحروف الإطباق لان طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم»^(٢)

ويقول عبد الوهاب القرطبي ت ٤٦٢ هـ: «والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن، والانفتاح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت»^(٣)

ويقول الاسترأبادي: «فيصير الحنك كالطبق علي اللسان»^(٤)

٥- الاستعلاء والنسفل

الاستعلاء: خروج صوت الحرف من أعلي الفم، وذلك لعلو اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروف الاستعلاء هي (خ ص ض ط ظ غ ق) ويجمعها قولك (خص ضغط ظ) ضغط ظ

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٦

(٢) الرعاية/ ٩٨

(٣) الموضح/ ١٥٦

(٤) شرح الشافية ٣/ ٢٦٢

والتسفل: هو خروج صوت الحرف من أسفل الفم، وذلك لتسفل اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأسفل، وحروف الاستفال اثنان وعشرون هي (ا ب ت ث ج ح ذ ز س ش ع ف ك ل م ن ه و ي)

يقول سيبويه: «فالخروف التي تمنعها الإمالة سبعة: الصاد والضاد، والطاء والظاء، والغين والحاء والقاف..... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»^(١) ويقول المبرد ت ٢٨٥ هـ في أسباب تسمية الحروف المستعلية: «وإنما قيل مستعلية لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تمنع الإمالة»^(٢)

ويقول ابن جني: «ومعني الاستعلاء إن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وإما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها»^(٣)

ويقول الداني: «وسميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، ولذلك تمنع الإمالة إلا أنها علي ضرين: منها ما يعلو اللسان به ولا ينطبق وهي ثلاثة: الغين والحاء والقاف ومنها ما يعلو اللسان به وينطبق وهي حروف الإطباق الأربعة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء. والمستفلة ما عدا هذه المستعلية، وسميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك»^(٤)

٦- الذلاقة والصمت

الذلاقة: خفة الصوت، وحروف الذلاقة ستة يجمعها قولك: «مر بنفل» وترجع خفة هذه الحروف إلى خروج ثلاثة منها من طرف اللسان وهي اللام والراء والنون، وثلاثة من الشفة وهي الفاء والباء والميم

الإصمات - الصمت: وهي حروف يصعب علي اللسان النطق بها مفردة بنفسها في كلمة مؤلفة من ثلاثة أحرف، وتسمي بالحروف المصمتة لأنها أصممت أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها»^(٥)

ويقول مكّي: «ومعني المصمتة الممنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة»^(٦)

(١) الكتاب ٤/ ١٢٨

(٢) المقتضب ١/ ٢٢٥

(٣) سر صناعة الاعراب ١/ ٧١

(٤) التحديد/ ١٨

(٥) مقدمة الجمهرة / ٧

(٦) الرعاية / ١١٠

ثانياً : صفات غير متضادة

١- الصفير: وهو صوت يشبه صفير الطائر يحدثه الهواء الخارج من الفم عند النطق بحروف الصاد والزاي والسين، وتسمي صفيرية لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان، فينحصر الصوت هناك إذا سكنت.

يقول المبرد: وهي حروف تنسل انسلااً وهي السين والصاد والزاي^(١)

ويقول مكّي: «وإنما سميت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير»^(٢)

ويقول الداني ت ٤٤٤ هـ: «سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند إخراجها من مواضعها»^(٣)

٢- القلقة: وهي اضطراب الحرف وتحركه بحركة عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية، وحروف القلقة هي «قطب جد» فينطق الحرف بين السكون والحركة وهذا ما يسمي بالقلق الصوتي، ولا تكون القلقة إلا في الأصوات الشديدة المجهورة، وفي حالة السكون، وتكون القلقة كبري إذا وقعت في آخر الكلمات يقول المبرد معللاً تسمية هذه الحروف بالقلقة: «لأنها إذا سكنت ضعفت، فاشتبهت بغيرها، ويحتاج إلى ظهورها إلى صوت يشبه النبرة، حال سكونهن في الوقف وغيره، و إلى إتمام النطق بهن، ولذلك يعد من أهم فوائد القلقة، حماية الصوت من فقدان صفة من صفاته»

ولبيان أهمية القلقة نأخذ كلمة «أبتر» ونقرأها بالقلقة مرة وبدونها مرة أخرى لنري كيف تتحول الباء إلى مهموسة بدون القلقة، لأن التاء مهموسة فإذا أسكنت الباء قبلها ضعفت وجذبته التاء فصارت مهموسة، ولذلك كانت القلقة لتحمي الحرف من فقد صفته الأساسية وهي الجهر. وكذلك الجيم في كلمة «أجر» إذا لم تعاملها بالقلقة فإنها سوف تفقد صفة الشدة، وتتحول إلى الرخاوة.

ويري ابن الجزري وجوب قلقة الحروف الخمسة إذا كانت ساكنة في الوصل

(١) المقتضب ١/ ١٩٣

(٢) الرعاية / ١٠٠

(٣) التحديد / ١٩

والوقف، ويستدل بكلام شريح ت ٥٣٩ هـ في قوله: «وذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقة بالوقف تمسكا بظاهر ما رأوه من عبارات المتقدمين أن القلقة تظهر في هذه الحروف بالوقف، فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل وليس المراد سوى السكون، فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون وقوى الشبهة في ذلك كون القلقة في الوقف العرفي أبين، وحسبانهم أن القلقة حركة، وليس كذلك، فقد قال الخليل: القلقة شدة الصياح»^(١)

وقال الإمام شريح في حديثه عن القلقة فقال: «وهي متوسطة كباء «الأبواب» يوسف / ٢٣ «وغلقت الأبواب»، وجيم النجدين «وهديناه النجدين» البلد / ١٠ ودال مددناها «والأرض مددناها» الحجر / ١٩ وقاف خلقنا في «ومن خلقنا أمة يهدون بالحق والأعراف / ١٨١، وطاء أطواراً في «وقد خلقكم أطواراً» نوح / ١٤، ومطرقة كباء يتب «ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» الحجرات / ١١، وجيم «يخرج» في «ومن يخرج من بيته مهاجراً النساء / ١٠٠، ودال «قد» في «قد جاءكم من الله نورا»، وقاف «يشاقق» في «ومن يشاقق الرسول» النساء / ١١٥، وطاء «تشطط» في «فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط» ص / ٢٢ فالقلقة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من المتوسطة»^(٢)

والقلقة مأخوذة من الحركة فيقال في اللغة: قلقل الشيء إذا حركه، وقد يكون من دلالة الكلمة على شدة الصوت، وسميت بذلك «إما لأن صوتها صوت أشد الحروف، أخذاً من القلقة التي هي صوت الأشياء إلى اليابسة، وإما لأن صوتها لا يكاد يتبين به سكونها، ما لم يخرج إلى شبه التحريك لشدة أمرها من قولهم: قلقله إذا حركه»^(٣)

٣- الفنة: وهي صوت يخرج من الخيشوم أي من الأنف، وحروفها: الميم والنون والتنوين «وسميت بأصوات الغنة لأن الهواء يخرج معها من الخيشوم، يقول عبد الوهاب القرطبي ت ٤٦٢ هـ: «هي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في موضعها»^(٤)

فإذا كانت حروف المد تتميز بجريان النفس حراً طليقاً في مجراه خلال الحلق والفم كذلك الغنة يجري فيها النفس خلال تجويف الأنف - الخيشوم.

(١) النشر ١ / ٢٠٣

(٢) السابق ١ / ٢٠٤

(٣) أبو شامة: إبراز المعاني / ١٢

(٤) الموضح / ١٥٣

شروط الغنة: يشترط لوجود الغنة في النون والميم أن تكون ساكنة مع عدم إظهارها يقول أبو عبد الله الفاسي ت ٦٥٦ هـ: «الغنة صوت يخرج من الخياشيم لا عمل للسان فيه... ومحملها التنوين، والنون والميم بشرط سكونهن وعدم إظهارهن، فان تحركت صار العمل فيه للسان، وكذلك إن أظهرت التنوين أو النون عند حروف الحلق»^(١)

ويقول السمرقندي ت ٧٨٠ هـ: وحروف الغنة الميم والنون والتنوين إن سكن، فإذا تحركت صار العمل فيها للسان والشفيتين دون الأنف ولهذا لا يقدر علي إخراجها المزكوم، وكذلك إن أظهرت التنوين والنون عند حروف الحلق»^(٢)

٤- **النفـشـجـي:** وهو انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين

٥- الاستطالة: والاستطالة هي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها وتكون مع حرف الضاد يقول سيويو: الضاد استطالت لرخاوتها حتي اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتي اتصلت بمخرج الطاء»^(٣)

وقال الجعبري: والفرق بين المستطيل والممدود أن المستطيل جري في مخرجه، والممدود جري في نفسه»^(٤)

الانحراف: وهو ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان وحروفه الراء واللام

٦- النكير: يخرج الصوت مكرراً عند النطق به ويكون مع حرف الراء

٧- اللين: وهو صفة تتميز بها حرفا الواو والياء الساكنان المفتوح ما قبلها مثل «بَيْت، فَوْق»

الفرق بين الألفاظ الصامتة والصائتة:

الأصوات الصائتة ليس لها مخرج محدد، يقول الخليل: «وهي أربعة أحرف جوف وهي (الواو والياء والألف اللينة، والهمزة) وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللّهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم

(١) الرعاية: مكّي / ٢١٤، اللآلئ الفريدة / ٢١٣

(٢) روح المريد / ١٢٨

(٣) الكتاب ٤ / ٥٧

(٤) علي القارئ: المنح الفكرية / ١٧

يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»^(١)

تمييز الأصوات بصفاتها

من دراسة مخارج الحروف وصفاتها رأينا أن المخرج الواحد قد يقع فيه أكثر من صوت، كالعين والحاء من وسط الحلق، والصفة الواحدة قد يوصف بها أكثر من صوت، فالشدة مثلاً في أصوات «أجدت طبقك» ولكن يستحيل أن يتفق صوتان فأكثر في جميع الصفات، ومن ثم كان من الضروري تمييز الصوت بصفات خاصة به لا تنطبق علي غيره، أو لا يشاركه فيها غيره كال تكرار في الراء، فإن لم نستطع ذلك نبحث عن صفات لا يشارك الحرف فيها إلا القليل من الحروف كالصغير صفة للصاد، ويشترك معه فيها الزاي والسين وبذلك نقول إن صفة الصاد الصغير والتفخيم.

العلاقة بين علم الصوتيات وعلم التجويد :

ظهر علم الصوتيات اللغوية في تراثنا العربي في تراث علماء اللغة والنحو والعروض والبلاغة، فرأينا أصوله ماثلة في تراث الخليل بن أحمد في معجم العين، وعند سيبويه في الكتاب، وعند ابن جني في سر صناعة الإعراب، وغيرها من المصادر اللغوية.

أما علم التجويد فقد ظهر علماً مستقلاً في بداية القرن الخامس الهجري حين تمكن علماء قراءة القرآن من استخلاص قواعده من مؤلفات اللغويين القدماء وأفردوا لها مصنفات خاصة بهم لتحديد أصول العلم.

ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بهذا العلم مكّي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ في كتابه «الرعاية لتجويد القراءة»، وكتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤ هـ.

وقد حافظ العلماء علي الصورة الأولى التي نقلوها عن علماء اللغة في بداية ظهور هذا العلم، وإن أضاف بعضهم إليه لمسات جديدة تميزه عن غيره من العلوم اللغوية.

أما ادعاء ظهور علم الصوتيات في بداية ق ١٧ أو القرن العشرين علي أيدي المستشرقين فهو ادعاء باطل لا أساس له، فالأصول عربية تراثية لعلم الصوتيات عند الخليل وابن جني وسيبويه، وعند علماء التجويد في القرن الخامس الهجري مكّي بن أبي طالب والداني وغيرهما.

أما في العصر الحديث فقد أفردت دراسات عربية في القرن العشرين لدراسة هذا العلم

الصوتي اللغوي في كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس وصدر بالقاهرة سنة ١٩٤٧م وبذلك بدأ التأليف في أصول هذا العلم في دراسات مستقلة وهذا ما دعا كثير من المتفرجين إلى القول بأننا عالة على الغرب في تعلم هذا العلم.

ومما زاد أمور الادعاء أن علماء الصوتيات في العصر الحديث قد اعتمدوا على المؤلفات الغربية في الصوتيات وهذا لا يقلل من شأنهم فالإطلاع على العلم يجب أن يكون مطلقاً لا تحده قيود الزمان أو المكان أو الأشخاص فما الليث إلا عدة خراف مهضومة.

الاتصال بين التجويد وعلم الأصوات:

إذا كانت نظرة كثير من المثقفين إلى العلمين بأنهما منفصلان عن بعضهما انفصلاً تاماً فإن ذلك راجع إلى عدم استقلال كتب التراث بدراسات منفصلة عن علم الأصوات كما ظهرت في العصر الحديث.

وقد استعمل علم التجويد لدراسة المباحث الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم، وكانت تلك المباحث مختلطة بالمسائل النحوية والصرفية عند علماء اللغة والنحو والصرف، وقد كانت دراسة ابن جني «سر صناعة الإعراب» تشكيلاً جديداً وتحولاً علمياً رائعا في تحديد دراسة علم الأصوات والحروف، ولكن العلماء بعده لم يستثمروا جهوده في التأليف في هذا العلم تأليفاً مستقلاً حتى ظهر علماء قراءة القرآن الكريم، واستخلصوا المباحث الصوتية وأفردوا لها مؤلفات خاصة واختاروا لها عناوين جديدة هي: الرعاية لتجويد القرآن، وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها، كما سمي أبو عمرو الداني كتابه: «التحديد في الإتيان والتجويد».

أما من حيث الموضوعات فإن علم التجويد يدور حول معرفة مخارج الحروف وتحديد صفاتها، وتحديد الأحكام الناشئة عن التركيب كالإدغام والإخفاء والترقيق والتفخيم وغيرها من أحكام قراءة القرآن الكريم.

أما علم الأصوات فيدرس بجانب الأحكام السابقة موضوعات أخرى مرتبطة بها مثل آلية إنشاء الأصوات اللغوية، وتحديد المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم.

وتتداخل المصطلحات بين علماء التجويد وعلماء الصوتيات، ويبدو أن كلا منهم يحاول تأصيل علم بعيد عن العلم الآخر ولا يشترك معه في المصطلحات، ومن ثم نرى أن المحدثين

يستخدمون المجهور والمهموس، وغيرهم يطلق عليها الانفجاري والاحتكاكي بدلا من التشديد والرخو، وما زال الاختلاف قائما بين العلمين في استخدام المصطلحات، وإن كانت أصولها واحدة وموضوعاتها تكاد تكون واحدة غير أن علم التجويد يقتصر على المباحث الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم بخلاف علم الأصوات الذي يعني بدراسة كل المباحث اللغوية المتصلة بأصوات اللغة

أصوات حروف العلة :

هي أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه، أو يسبب احتكاكا مسموعا^(١) وتنطق أصوات حروف العلة عندما يندفع الهواء بصورة مستمرة من خلال الحلق والفم، فتتذبذب الأوتار الصوتية ويستمر مرور الهواء دون أن يكون هناك عائق يعيق مجراه، ولذلك نرى أن غالب أحرف العلة مجهورة، حيث يخرج الحرف بحرية تامة من البلعوم مروراً بالفم، كما يخرج الهواء بصورة مستمرة عند النطق بها.

الحركات قبل حروف المد

ينشأ حرف المد من إشباع حركة الحرف السابق له، وقد جاء في تعريف حروف المد بأنها حروف علة ساكنة بعد حركات تجانسها كالواو في كلمة صبور والألف في كلمة كتاب، والياء في كلمة كريم.

وقد جاء في الكتابة العربية إثبات الفتحة قبل الألف وضمة قبل الواو وكسرة قبل الياء، وكذلك ورد ذلك في الرسم العثماني نحو: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الفاتحة / ٧

وفي الآية الكريمة نرى الفتحة قبل الألف في: صراط والضالين، والضمة قبل الواو في «المغضوب» والكسرة قبل الياء في «الذين، الضالين»

وقد ذكر ابن جني أن هذه الحركات ما هي إلا أبعاض حروف المد واللين^(٢)

ويؤكد ذلك أن الحركات أبعاض هذه الحروف فمتى أشبعت حركة منهن حدث بعدها

(١) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة / ٩١

(٢) سر صناعة الإعراب ٩ / ١

حرف مشابه لها لأن الحركات أبعاض حروف مماثلة لها فإذا أشبعت فتحة عمر يأتي بعدها ألف نحو «عامر» وكذلك كسرة عين «عنب» إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة «وذلك قولك «عينب» وكذلك ضمة عين «عمر» لو أشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة وذلك قولك «عَوم» فلو لا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها»

الفرق بين الفتحة وألف المد :

يقول إبراهيم أنيس: الفرق بين الفتحة وما يسمى بألف المد لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية، وكذلك الفرق بين ياء المد وواو المد إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة ليس إلا فرقا في الكمية، فما يسمى بألف المد هي في الحقيقة فتحة طويلة، وما يسمى بياء المد ليست إلا كسرة طويلة، وكذلك واو المد تعد من الناحية الصوتية ضمة طويلة، فكيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد مع ملاحظة فرق الكمية بينهما»^(١)

ويبدو تأثير إبراهيم أنيس بقول ابن جني «أن الحركة حرف صغير ألا تري أن من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة واو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، ويؤكد ذلك عندك أنك متي أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها»^(٢)

هل ينشأ حرف المد من إشباع الحركة قبله؟

يري علماء اللغة أن حرف المد ناشئ من إشباع حركة الحرف السابق له، ولذلك تكون الحركة متجانسة مع الحرف، ويرى إبراهيم أنيس أن القدماء قد «ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد فقالوا مثلاً: إن هناك فتحة على التاء في «كتاب» وكسرة تحت الراء في «كريم»، وضمة فوق القاف في «يقول»، والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في «كتاب» محركة بتاء المد وحدها، والقاف في يقول: محركة بواو المد وحدها»^(٣)

ويري الباحث أنه يجب أن نشير إلى نوع التجانس بين حرف المد والحركة السابقة له، وقد سبق أن تحدث اللغويون عن إشباع الحركة ونشأة حروف مماثلة لإشباع الحركة وقولهم أقرب إلى الصواب من قول إبراهيم أنيس لأن حروف المد كلها ساكنة، ولو سكن

(١) إبراهيم أنيس: الاصوات اللغوية /

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب / ٢٨

(٣) إبراهيم أنيس: الاصوات اللغوية / ١٢٦

الحرف السابق لها لأخذت حركة مقدرة غير قادرة علي إظهار هذا الامتداد الصوتي الذي هو امتداد للحركة السابقة فأتى هذا الحرف.

يقول ابن جني: إن الحركات في اللغة العربية ثلاث هي فتحة وكسرة وضمة، والمتحرك إذن علي ثلاثة أضرب: مفتوح ومكسور ومضموم، فالمفتوح هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها ألف، والمكسور هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها ياء، والمضموم هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها واو^(١)

ويؤكد ابن جني أن الحركة السابقة لحرف المد لا بد أن تكون مجانسة له، ولو أردت استبدالها بأخرى مخالفة لم تستطع فيقول: «وأنت لو رمت أن تأتي بكسرة أو ضمة قبل الألف لم تستطع ذلك البتة، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصالح، وذلك نحو «فَعِل» من القول والطول أصله تقول فيه قَوْل وطَوْل ثم تستثقل ذلك فتقلب الواو للكسرة قبلها ياء، فتقول: قيل وطيل وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا، ونحوهما: ميزان وميعاد وميقات كل هذا من الواو في: وزن، وقت، وعد، وكذلك قالوا: موسر وموقن وأصلهما: ميسر وميقن، فكرهوا الياء بعد الضمة، فأبدلوها واواً، وكذلك انكسر ما قبل الألف أو انضم قلبت للكسرة ياء وللضمة واواً، وكذلك الياء في قراطيس، وإنها هي بدل من الالف في قراطس، والواو في ضويرب والصواب ضورب إنها هي بدل من الألف في ضارب^(٢)

مفهوم التنغيم:

التنغيم هو موسيقي الكلام، فالإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق، بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية^(٣)

ويقول روبرت: أن التنغيم تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة ويقول دانيال جونز: التنغيم ربما يُعرف بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب / ٢٨

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب / ٣٠

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية / ٢٧

والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية « ويرى الباحث أن اختلاف نغمات الكلام شيء طبيعي في كل اللغات، يقول تمام حسان: إن التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام والكلام لا يجري علي طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام، أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم »

فاختلاف درجات الصوت في اللغة والأسلوب، وتباينه من مقطع إلى آخر قاعدة عامة تخضع له جميع اللغات، ولا توجد لغة تستخدم نغمة واحدة علي مرا الكلام، وإلا كان الأسلوب مملاً ومنفراً، وغير ممكن الحدوث والوجود وتختلف نغمات الكلام بين صاعدة وهابطة وثابتة ومستوية، وهذا الاختلاف شيء طبيعي في الجملة المنطوقة، وهذا أمر يجب أن يتعلمه كل متحدث في المجال اللغوي.

اللغويون بين مؤيد لوجوده وممانع له في لغتنا :

نبه إبراهيم أنيس علي وجود التنغيم في لغتنا العربية، وهو موسيقي الكلام، ويعلل ذلك بقوله: «إن الإنسان حين ينطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد يختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات وتختلف معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت عند النطق بالكلمة»^(١)

ويري تمام حسان أن التنغيم لا وجود له في تراثنا العربي، فيقول: «أن التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل ولا مدروس، ومن ثم تخضع دراستنا إياه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد علي العادات النطقية في اللهجات العامية»^(٢)

ويقرر أحمد مختار عمر أن أمثلة التنغيم في العربية ولهجاتها من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصية لهجية أو عادة نطقية للأفراد، ويرى أن التنغيم هو الذي يغير الجملة من خبر إلي استفهام إلي توكيد إلي انفعال إلي تعجب في شكل الكلمات المكونة ثم يبايز بين اللغات النغمية وغير النغمية بما تؤديه درجة الصوت من دور في تميز المعني الأساسي للكلمة أو الجملة»^(٣)

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية / ١٢٤

(٢) تمام حسان لغة العربية معناها ومبناها / ٢٢٨. طائفة المصرية للكتاب ط ١٩٨٥ م

(٣) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: عالم الكتب مصر ط ١٩٧٦ / ٣١٠

ويرى رمضان عبد التواب أن القدماء «أشاروا إلى بعض آثار التنعيم ولم يعرفوا كنهه، ورغم ذلك فإننا نجد أمثلة له عند بعضهم، ويرى هذا الرأي عبد السلام المسدي الذي يقول: إن التنعيم في اللغة العربية له وظائف نحوية لأنه يفرق بين أسلوب وآخر، من أساليب التراكيب، ومع هذا فإنه لم يحظ لدى أجدادنا ببحث مستفيض أو تطبيق مستند إلى قواعد محددة»^(١)

أهمية استخدام التنعيم:

ولابد للمتحدث لأي لغة أن يتعلم التنعيم لأنه «إذا لم يستعمله أصبح نطقه متنافرا، لا يتفق مع طبيعة اللغة، وقياسيتها عند أهلها، فعدم إتقانه يجعل المتحدث يبدو غريبا عن أهل اللغة، وربما وقع في خطأ وبدا حديثه غير مفهوم، والسبب يرجع إلى عدم التزامه بمقاييس لغات ألفاظ اللغة، يقول عبد السلام المسدي: إن التنعيم في العربية له وظائف نحوية، لأنه يفرق بين أسلوب وآخر من أساليب التراكيب، ومع هذا فإنه لم يحظ لدى أجدادنا ببحث مستفيض، أو تطبيق مستند إلى قواعد محددة»^(٢)

والحقيقة أن العرب عرفت التنعيم وإن لم تفرد له بالدراسة أبوابا خاصة يقول عبد الكريم مجاهد: «إن ابن جني قد أدرك هذا الجانب وقد طرق باب هذا الموضوع، ويرى أن التنعيم ظاهرة موجودة في اللغة ثم جاءت اللسانية الحديثة لتوصفها، ودلينا على ذلك أن الحديث عما نسميه حديثا بالتنعيم الذي جعل عبدا لكريم مجاهد ابن جني مساهما فيه موجود عند ابن جني وسيبويه...»^(٣)

ويقول العالم اللغوي: تنغشتين: «في دراساته عن علم الدلالة الغربي: لا تفتش عن معني كلمة إنما عن الطريقة التي تستعمل فيها، فإذا أعدنا النظر في هذه العبارة أدركنا أهمية التنعيم الذي يعد من أهم القرائن التي تميز الكلام في طرائق استخدامه، إذ يؤدي التنعيم في اللغة وظيفة نحوية حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة»^(٤)

وظائف التنعيم عند إخوان الصفا:

لقد كانوا يستخدمونه عند الدعاء والتسبيح ألحانا من الموسيقى وتسمي المحزن، وهي

(١) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية: الدار العربية للكتاب / ٢٢٦

(٢) الأسبوع الأدبي ١٠ / ٢ / ١٩٩٩: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: دار الثقافة للنشر / ١١٣

(٣) الأسبوع الأدبي ١٠ / ٢ / ١٩٩٩ العدد ٦٧٨

(٤) عاطف مدكور: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: دار الثقافة للنشر / ١١٣

التي ترقق القلوب، إذا سمعت، وتبكي العيون، وتكسب النفوس الندامة علي سالف الذنوب، كما أدرك إخوان الصفا أثر تنعيم القرآن الكريم وتجويده في نفوس المسلمين، حيث تشوق النفوس إلي عالم الأرواح ونعيم الجنان»^(١)

وللقرآن سحره الخاص الذي يرقق النفوس، ويبكي العيون حتى غير المؤمنين يتأثرون عند سماعه ولكن كثيرا منهم يقولون ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ يقول الجاحظ ت ٢٥٥ هـ: «وقد بكى ما سر جويه من قراءة أبي الخوخ فقل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجاء»^(٢)

ولا تخفي علينا قصة إسلام عمر ابن الخطاب حيث ذهب حاملا سيف يريد قتل أخته عندما أسلمت، فلما ذهب إليها لطم زوجها كما لطمها علي وجهها، فاعترفت بالإسلام وقالت افعل ما تشاء لقد أسلمنا، فسمع تاليا للقرآن في بيتها فاستمع إلي قراءته فرقت مشاعره ودخل في الإسلام

وظائف التنعيم عند البلاغيين:

تحدث البلاغيون عن التنعيم ضمن حديثهم عن خروج الكلام علي مقتضي الظاهر في علم المعاني، حيث تحدثوا عن استخدام الأساليب بدلالات مختلفة تحدد من سياق الكلام، وتوضح دلالتها بمراعاة مقتضي الحال.

وفي أحيان كثيرة يستخدم التنعيم بقرائن مختلفة تكون أدق وقعا وأثرا في النفس من القرائن اللفظية، فثمة جمل كثيرة تشتمل علي أداة الاستفهام لكنها لا تحمل معني الاستفهام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ الإنسان ١

إذ تبدو الآية الكريمة استفهامية بناء علي القرينة اللفظية فيها وهي «هل» أداة استفهام، فإذا استمعنا إلي تنعيم الآية الكريمة من قارئ القرآن الكريم أو نظرنا إليها في سياق المعني لرأينا أن الأسلوب خبري وليس استفهاميا، وقد أتت فيها هل بمعني قد وذلك كثير في لغة العرب وقد نزل القرآن بأساليبهم.

(١) رسائل إخوان الصفا ١: ١٨٧

(٢) الحيوان ٤/ ١٩١

وكثيرا ما نجد أساليب تخلو من أداة الاستفهام وهي في الحقيقة استفهامية ويتعين الاستفهام فيها بالتنعيم، كما يتم التمييز بين الأساليب المختلفة، فإذا نظرنا في هذه الجملة مثلا: أنت طالب نري أنها من النظرة الأولى جملة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر، فإذا قرأناها بالتنعيم أنت طالب نفهم من السياق أنها إنشائية استفهامية بأداة استفهام مقدرة تقديرها أنت طالب؟ وقد حل التنعيم محلها.

وقد تكون الصورة إنشائية لفظاً والتنعيم يؤكد أنها خبرية كقول الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط؟

والجملة خبرية تقريرية وهي صفة للشراب، والنغمة الصوتية تشير إلى معني الإخبار وليس الاستفهام.

وكثيرا ما تسقط أداة الاستفهام، ويبقى السياق استفهاميا كقول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبها؟ قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

ويعتمد على التنعيم في شرح البيت لمعرفة اللفظ الاستفهامي أو التقريري فعلي الاستفهام تكون إنشائية وعلي التقرير تكون خبرية ويؤكد ذلك تنعيم البيت وطريقة أدائه. وفي قول الكميت الأزدي:

ما ترى الدهر قد أباد معداً وأباد القرون من عهد عاد

وللتنعيم دور واضح في توجيه هذا البيت فهو استفهامي والتقدير أما تري؟ وكذلك خبري علي صورته وإيقاع نغمته الصوتية.

وكثيرا ما يحذف حرف الاستفهام ويكون للتنعيم أثر واضح في توجيه دلالة الأساليب اللغوية، ومثال ذلك قول رسول الله ﷺ:

«يا أبا ذر عيرته بأمة؟! والتقرير أعيرته بأمة وفيها استفهام إنكاري يوضحه تنعيم العبارة ومثاله أيضا قول رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن سرق، وإن زني؟ قال: وإن سرق وإن زني؟»

والتقدير أيدخل الجنة وإن زني وإن سرق؟ فالتنعيم هو الذي يوجه دلالة الأساليب، يوحى بالمحذوف ويقدره.

ونأخذ أمثلة أخرى باستخدام لولا تحضيضية وهي علي طريقة الاستفهام، وتلعب القرينة الحالية والتنغمية دوراً واضحاً في الدلالة، وهي تحويل الدلالة الشرطية إلى الدلالة التحضيضية كقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ المنافقون / ١٠ ونلاحظ أنه لا يوجد تحضيض في المعنى بل دعاء بدليل تمام الآية مختوم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون ١٠

وتلعب الصيغة التنغيمية في الكشف عن المعنى المقصود، وإن كان ظاهره ينبئ عن غير ذلك كقول الشاعر:

لا يكون العير مهراً لا يكون المهر مهر

قال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال اليزيدي: انظر فيه، فقال: أقوى: لا بد أن ينصب المهر الثاني علي أنه خبر ليكون، فحضر اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال أمام الرشيد: أنا أبو محمد: الشعر صواب، إنها ابتداء فقال: المهر مهر^(١)

ويريد أن يؤكد أهمية التنغيم في بيان المعنى، فالوقف علي قوله: لا يكون إجابة عن السؤال، أيكون العير مهراً؟ والجواب لا يكون الحمار مهراً فأوجز وقال: لا يكون ووقف عندها بالتنغيم ثم استأنف قائلاً: لمهر مهر

فاستخدام الوقف بالتنغيم الصوتي علي كلمة لا يكون أدت المعنى المطلوب ثم جاء بعدها بتوضيح الحقيقة والتأكيد علي أن المهر مهر.

فالقراءة بلا تنغيم تؤدي إلي الإقواء - الخطأ - والتنغيم يظهر المعنى ويوضحه وقد يكون التنغيم بارتفاع الصوت أو انخفاضه أثناء النطق، فيدل التنغيم الصوتي علي الحالة الشعورية أو النفسية من خلال اللفظ أو النطق به وتأمل قولنا: أقياما وقد قعد الناس؟ هذه الصيغة الاستفهامية التي تحمل معني الإنكار والتوبيخ ويفهم ذلك من نبرة الصوت وعلوه وانخفاضه وانظر متأملاً قوله تعالى ﴿اللَّهُ أَذْنُ لَكُمْ﴾ يوسف / ٥٦

هل هي جملة تقريرية؟ أم إنشائية؟ أم توبيخية؟ يتضح ذلك من تنغيم الآية الكريمة ودقة

(١) السيوطي: الأشباه والنظائر ٣ / ٢٤٥

قراءتها، فهي إنشائية على طريقة الاستفهام التفرعي.

موقف النحاة واللغويين من التنغيم:

إن حذف همزة الاستفهام والاعتماد علي التنغيم والإيقاع أمر جاء به النحاة واللغويون ولم يستنكره أحد منهم بل عدوه من بلاغة الخطاب، وجمال البيان، وقد ساق النحاة بياناً يؤكد الاعتماد علي التنغيم في تراثنا العربي، فذكروا قصة امرئ القيس مع الجواري اللائي ذبح لهن ناقته بعد أن قال لهن: إن نحررت لكن ناقتي تأكلن منها «قلن: نعم.»^(١)

فالعبرة تؤكد أن الاستفهام مقصود من السياق، والتنغيم الصوتي هو الذي يكشف المعني ويؤكدده، والنحاة يقدرون حرف استفهام محذوف في الجملة، ولا يذكرون التنغيم صراحة ومثل ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

فو الله ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان؟

وفي ذلك يقدر النحاة حرف استفهام محذوف تقديره: أبسبع؟، ولكن علماء الأصوات يعتمدون علي إيقاع التنغيم في بيان المعني، وإذا نظرت إلي الجملة توهمت أنها خبرية فإذا قرأتها بالتنغيم اتضح لك أنها استفهامية لا خبرية.

أهمية المشافهة في نقل التنغيم:

يعتمد المكتوب علي البيئة اللغوية لأنه يفتقر إلي السياقات التي تحيط بالخطاب الشفاهي، وتساعد علي تحديد المعني، والنقل الشفاهي يعتمد علي التنغيم في البيان والوضوح، يقول الزركشي ت ٧٩٤هـ: «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه علي منازل له فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به علي التعظيم»^(٢)

ويجب أن يلائم التنغيم المعني ويوافقه ليجعل المقروء مستقراً في ذهن السامع مؤثراً في نفسه، فالتنغيم في آيات الحث علي الجهاد غيره في آيات الخشوع والتقوى والدعاء والوعد والوعيد كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة ٦٤

فقراءة «يد الله مغلولة» تقرأ علي سبيل الإنكار والتعجب من قولهم وتظهر عدم

(١) التبريزي: شرح القصائد العشر / ٣٨

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٥٠

موافقتهم في هذا الادعاء، ولذلك يأتي التنعيم في باقي الآية ﴿عُلْتُ أَيْدِيَهُمْ...﴾ على سبيل الدعاء عليهم والتنعيم هو الذي يظهر المعنى.

خروج التراكيب علي أساليب مختلفة

يرجع خروج التركيب للغوي علي أساليب مختلفة إلي التنعيم الذي يعتمد علي المنطوق لا المكتوب، ولذلك يرجع اختلاف كثير من النحاة إلي اعتمادهم علي النص المكتوب دون المنطوق، والتنعيم هو الذي يوضح سياق الجملة، ويحدد نوعها ومن ثم تظهر دلالتها.

دور التنعيم في الدلالة علي المحذوف:

كثيرا ما يحذف بعض عناصر الجمل التركيبية، ويقف الباحث أمامها حائرا في تقدير المحذوف، وتتشعب اتجاهات التأويل أمامه فلا يجد معينا علي ذلك إلا المنطوق بواسطة التنعيم الذي يعين علي تحديد دلالة الجملة، ويقوم التنعيم بوظيفة توضيحية للتمييز بين الجمل الإنشائية والخبرية، عن طريق ارتفاع الصوت أو انخفاضه أو مد الصوت أو قصره، يقول ابن مهران النيسابوري: «مدات القرآن علي عشرة أوجه منها: مد الفرق نحو «الآن» لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر، وقدره ألف تامة بالإجماع، فإن كان بين ألف المد حرف مشدد زيد ألف ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو: ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ﴾» فالمد هو الذي يفرق بين الخبر والاستخبار، فإذا مدت دللت علي الاستفهام أما إذا حذفت المد فعلي الخبر، ومنه قرأ الحسن: «آن جاءه الأعمى» عبس / ٢ بالمد، قال أبو الفتح: «آن» معلقة بفعل محذوف دل عليه قوله تعالى: «عبس وتولى» عبس / ١ تقديره: «آن جاءه الأعمى أعرض عنه، وتولى بوجهه؟ فالوقوف إذاً علي قوله: «وتولى» ثم استأنف لفظ الاستفهام منكراً للحال فكأنه قال: «الآن جاءه الأعمى فكان ذلك منه»^(١)

ظهور دلالات التنعيم في النطق:

وليبيان كيفية ظهور أثر دلالات التنعيم في النطق نأخذ هذا الشاهد يقول الشاعر:

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري.

ونتساءل في هذا البيت «كم» خبرية أم استفهامية:

لو تأملنا البيت نجده يحتمل الأمرين معاً، ولكل حالة منها توجيه مختلف عن الأخرى

(١) - ابن جني: المحتسب في تبين وجوده القراءات والإيضاح عنها ١/ ٣٥٢.

والتنغيم هو الذي يظهر الدلالة اللغوية، فالفرق بين دلالة الاستفهام والخبر تتضح في النغمة المرتفعة في الاستفهام والمستوية في الخبرية يقول إبراهيم أنيس: «وانسجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات وقصر البعض الآخر»^(١)

ولنا أن نقف أمام إشباع الحركة في هذه الأبيات الكريمة لنرى أثر التنغيم في وضوح المعنى وتأكيده كقوله تعالى: ﴿وَتُظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿فَأُضْلَوْنَا السَّبِيلَا﴾
فالمد في التنغيم يؤكد تمكن الكفر في نفوسهم، وتماديهم في الفجور والعصيان.

السكت وأثره في المعنى:

قول ابن الجزري: وجه السكت في «عوجا» قصد به بيان أن «قيماً» بعده ليس متصلاً بما قبله في الإعراب، وفي «مرقدنا» بيان أن كلام الكفار قد انقضى وأن قوله «هذا ما وعد الرحمن» ليس من كلامهم.^(٢)

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس ٥٢
وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾
الكهف: ١

أثر التنغيم في الإغراء والتحذير والاستفهام

يفرق التنغيم بين أسلوب الإغراء والتحذير عن طريق مد الصوت أو قصره أو ارتفاعه وانخفاضه، فإذا قلت الرجلَ الرجلَ بنغمة مرتفعة فيها تلهف وإشفاق فأنت تحذر من هذا الرجل، أما إذا نطقت بنغمة مستوية فإن الأسلوب يدل على الإغراء.

يقول ابن جني: «لفظ الاستفهام إذا ضامه معني التعجب استحال خبراً، وذلك قولك: مررت برجلٍ أي رجُلٍ فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً»^(٣)

فالتنغيم ركن أساسي في اللغة لا يمكن الاستغناء عنه، وله قيم دلالية كثيرة، وقد أولاه اللغويون اهتماماً كبيراً، وأشاروا إليه في شروحاتهم وقد استخدموه في كتاباتهم لتوضيح كيفية التنغيم، كما استخدموا علامات الوقف والترقيم لبيان المعنى ومعرفة أماكن الوقف والابتداء

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية/ ١٢٣

(٢) النشر في القراءات العشر ٥٧/٢

(٣) الخصائص ٣٧٠/٢

والفصل والوصل حين ينتهي المعني.

قال السمرقندي:

إذا ما لنفي أو لجحدِ فصوتُها أَرُ فَعَنْ وللاستفهام مَكَّنْ وَعَدَّ لا

وفي غير اخفض صوتها والذي بها شبيه بمعناها ففسه لتفضلا

كهمزة الاستفهام مع من وإن وأفعل تفضيل وكيف وهل ولا

فهذه الأبيات توضح حقيقة التنغيم في لغتنا العربية، وهو يعتمد علي النطق لا الرسم، فرفع الصوت مع «ما» يدل علي أنها نافية، وإذا خفضت يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية، وهذه العادة الجارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن^(١)

وكذلك الفرق بين «لا» النافية والناهية، وصيغة أفعل التفضيل يقول السمرقندي: فينبغي أن يفرق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل، والذي ليس بمعنى التفضيل^(٢)

استخدام التنغيم في حياتنا اليومية:

نحن نستخدم تنغيمًا مناسبًا للتعبير عن الحالات النفسية وانعكاساتها في لغتنا، فالتعبير في الغضب غير التعبير في الرضا، وكذلك التعبير عند التعجب غير التعبير عند الاحتقار، وتختلف نغمة الصوت من حالة لأخرى لتعكس المشاعر الوجدانية وتؤثر في المتلقي

وتكاد تكون أمثلة التنغيم في لغتنا مقتصرة علي التمييز بين الجمل الإنشائية والخبرية، وقد أدرك علماء التجويد ظاهرة التنغيم، وأطلقوا عليها النغمة أو رفع الصوت وخفضه، وهو المعني الذي توصل إليه المحدثون.

(١) روح المريد في شرح العقد الفريد / ١٣٩

(٢) السابق / ١٤١

أسس الدراسة الصوتية

تعتمد الدراسة الصوتية على بيان اللحن الخفي الناشئ عن الخلل في نطق الحروف لعدم معرفة مخارجها وصفاتها وعلاقتها التركيبية، وقد قسموا اللحن قسمين: لحن جلي أي ظاهر وهو الخطأ الظاهر وهذا مجاله دراسة النحويين والصرفيين ولحن خفي وهو مجال دراسة علماء التجويد

اللحن الخفي:

وهو الخطأ الناتج عن عدم الالتزام بمخارج الأصوات وصفاتها، وهذا الميدان يعتمد على دراسة مخارج الحروف، وصفاتها وأحكامها التركيبية، يقول ابن مجاهد ت ٣٢٤ هـ: «اللحن في القرآن لحنان؛ جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه»^(١)

ويقول ابن مجاهد في كتابه السبعة «أو منها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير»^(٢)

فإذا كان اللحن الجلي الواضح هو الخطأ في الإعراب والضبط ويكون برفع المنصوب، وجر المرفوع فإن اللحن الخفي وغير الظاهر - فهو الخطأ في نطق الحروف لعدم توفية كل حرف حقه في المنطق من حيث نطقه من مخرجه وبصفاته ومراعاة البناء التركيبي له مع غيره، فيجب على القارئ تجنب الإفراط في «الفتحات والضمات والكسرات الهمزات وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطبيق النونات وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الرءاءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها»^(٣)

وينقسم اللحن إلى نوعين: الأول: لا تعرف حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية وذلك نحو مقادير المدات وحدود المالمات والمملطات والمشبعات

(١) التحديد / ٢٢، وشرح الواضحة / ٣١.

(٢) كتاب السبعة : تحقيق شوقي ضيف / ٤٩

(٣) التنبيه / ٤٥

والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام والحذف والإتمام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإقتان والضبط»^(١)

و أما الضرب الثاني فإنه يتقيد بالخط ويدرك وصفه بالشكل والنقط ويحتاج مبتغيه أولاً إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها»^(٢)

المقاطع الصوتية

تعتمد هذه الجزئية على النطق بالكلمات، وتقسيمها إلى مقاطع صوتية تظهر في نطق حروف الكلمة، وهذه الدراسة قديمة عرفها علم العروض منذ زمن واضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتعتمد على أن ما ينطق يكتب وما لا ينطق لا يلتفت إليه، وعلى هذه الطريقة قطع الكلمات إلى مقاطع صوتية منها ما يتألف من متحرك فساكن ومنها ما يتكون من متحركين فساكن أو ثلاثة فساكن ووضع أسس الوزن العروضي على هذا الأساس.

وقد استخدم هذا العلم علماء الصوتيات في بيان مخارج الحروف والنطق بالكلمات، واعتمد عليها علم التجويد فيما بعد.

تعريف المقطع:

تتابع الأصوات الكلامية، وهو أصغر وحدة في تركيب الكلمة.

المقطع الفونولوجي:

يقول دي سوسير: هو الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها وهو الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر أو نغمة واحدة كما في كثير من اللغات النغمية»^(٣)

أنواع المقاطع:

١- **مقطع منفصل:** وهو الذي ينتهي بحركة قصيرة أو طويلة نحو: رَ / سَ / مَ أو قَ / تَ / لَ في رسم، وقتل ويسمى مقطعاً صغيراً.

٢- **المقطع المنفلق:** وهو الذي ينتهي بحرف صامت أو حرفين، ومثال الذي

(١) التمهيد / ١١٩

(٢) السابق / ١١٩

(٣) دراسة الصوت اللغوي / ٢٤٣

ينتهي بحرف منْ ، في، عن.

والذي ينتهي بحرفين بنت. عند الوقف.

أقسام مقاطع العربية:

- ١ - مقطع قصير مفتوح؛ ويتكون من (صامت ثم متحرك) نحو قَ / تَ / لَ
- ٢ - مقطع طويل مغلق: ويتكون من (صامت ثم حركة ثم صامت) نحو (من) (عن)
- ٣ - مقطع مديد مقفل بصامتين: ويتكون من صامت ثم حركة ثم صامت) نحو شعب،
نبت عند الوقوف عليهما .

سمات المقاطع الصوتية:

في لغتنا العربية لا يزيد مقاطع الكلمة على سبعة مقاطع مهما كان طولها فكلمة «فسيكفيكمهم» تتكون من المقاطع التالية (ف، س، يك، في، ك، هـ، م) وهى سبعة مقاطع وكذلك كلمة «أنلز مكموها» تتكون من المقاطع التالية: أ / ثل / ز / م / ك / مو / ها.

وتمتاز المقاطع الصوتية العربية بأنها تميل إلى المقاطع الساكنة، كما تمتاز بأنها تبدأ بصامت ويتبع بحركة، وخير مثال من فرار اللغة العربية من تجاور صوتين صامتين ما نجده في فعل الأمر حيث يبدأ بهمزة وصل للتخلص من التقاء الساكنين في أول الكلمة كما في الفعل المضارع يرسم عندما نحوله لفعل الأمر فلا بد من وضع الألف في بداية الكلمة فنقول «ارسم».

الإدغام

تعريفه: الإدغام: لغة: الإدخال، واصطلاحاً: التقاء صوت ساكن بصوت متحرك وحروفه «م ن ي و ل»

هو إدخال الشيء في الشيء، وهو مأخوذ من أدغمت اللجام في فم الفرس أي أدخلته.

واصطلاحاً: وصل حرف ساكن بحرف مثله دون أن تفصل بينهما بحركة يقول الزجاجي: هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني أي تدخله فيه، فيصير حرفاً واحداً مشدداً ينبو اللسان فيه نبوة واحدة، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فتبدل الأول من جنس الثاني، وتدغمه فيه، وإنما تفعل ذلك تخفيفاً^(١)

(١) الجمل للزجاجي / ٣٧٨ .

ويقول ابن مجاهد « الإدغام تقريب الحرف إذا قرب مخرجه من مخرجه في اللسان كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه »^(١)

أنواعه:

أ- ناقص:

ب- إدغام بغنة مع النون والميم والياء والواو فتذهب النون وتبقى صفتها الأنفية ومنه: -

١- النون مع النون: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل / ٥٣

﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ الغاشية / ٨

٢- نون وميم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ البقرة / ٢٦

﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ البقرة / ١٦٤

٣- نون وياء: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ البقرة / ٨

٤- نون واو: ﴿لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة / ١٠٧

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ الحاقة / ١٦

ج- إدغام كامل:

ب- ويكون مع اللام والراء وهو إدغام بغير غنة، حيث يذهب صوت النون وصفته الأنفية، فتحول النون إلى لام قبل اللام وإلى راء قبل الراء نحو:

١- نون ولام: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ البقرة / ١٨٥

٢- نون وراء: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ محمد / ١٥

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ البقرة

إدغام المتثلين:

يحدث بين الصوتين المتماثلين سواء أكان الأول منها ساكناً نحو قطع أ متحركاً نحو شَمَّ، شَدَّ، فعندما يتجاور صوتان متحركان متماثلان يقتضي ذلك ارتفاع اللسان إلى مخرج واحد

مرتين متتاليتين وهذا ثقليل ومن ثم نلجأ إلى الإدغام.

ففي: شدّ وأصلها شدد أدغمت الدال الأولى عندما سكنت في الثانية كي يتحرك اللسان بها مرة واحدة بين كلمتين متجاورتين يكون آخر الأولى ساكناً فيدغم في أول الثانية المتحرك نحو (اضرب بعصاك) حيث تماثلت الباءان في الكلمتين فأدغمت الأولى في الثانية.

يقول ابن الجزري: اعلم أن الحرفين إذا التقيا إما أن يكونا مثليين أو جنسين أو متقاربين فالمثلان ما اتفقا مخرجا وصفة كالباء والباء والتاء والتاء... المتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة كالدال والطاء والشاء والذال... والمتقاربان ما تقاربا في المخرج أو الصفة كالدال والسين والشاء والتاء^(١)

إدغام الحرف المتحرك في مثله

والمثلان مثل ﴿شهر رمضان﴾ البقرة / ١٨٥، ﴿لذهب بسمعهم﴾ البقرة / ٢٠

إدغام المتقاربين:

ويحدث عند تجاور حرفين مختلفين في الصفة أو متقاربين في المخرج كإدغام أل التعريف فيما يليها من الحروف الشمسية.

وتختفي عند مجاورتها الحروف التالية (ث ذ ظ ت د س ز ط ص ض ر ن ش) يرى المحدثون أن اللام الشمسية تختفي في الصوت التالي بعدها اختفاء تاما.

وتظهر لام التعريف في النطق مع بقية الحروف وهي (ب و ي ف ل ج ك خ غ ق ح ه أ)

حكم اللاح:

الأصل في نطق اللام الترقيق، وتغلظ في بعض المواضع نحو:

١- إذا تجاورت مع حروف الاستعلاء (ص ط ظ):

٢- إذا كانت اللام مفتوحة نحو:

﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد / ٣

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر / ٥

(١) الحواشي المفهمة / ٤٠

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء / ١١٦

حكم لام لفظ الجلالة:

١- التفضيخ: إذا سبقت بفتح أو ضم نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص ١

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الأنعام / ١١١،

﴿ذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر / ١

٢- الترقيق:

إذا كسر ما قبلها نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ هود ١٤، ﴿مَنْ مَالِ اللَّهِ﴾ النور / ٣٣

الغنة:

هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه، ينقطع عند إمساك الأنف.
حروف الغنة: النون الساكنة والنون والتنوين، وتسمى الأصوات الأنفية وهي أكثر
تأثرا بمجاورة غيرها.

أحكام النون الساكنة والتنوين

١- الإظهار:

الإظهار لغة: التبيين، واصطلاحا: نطق النون الساكنة نطقا خالصا دون التأثير بما بعدها
من الأصوات، ويكون ذلك مع الأصوات الحلقية الستة (أ هـ ع ح غ خ)
ويجب هنا أن تلفظ بدون غنة مع إظهار الحرف الذي بعدها نحو: ﴿مَنْ آمَنَ﴾
المائدة / ٦٩، ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ القدر / ٥

شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿ق / ٢﴾ ﴿حَكِيمٌ حَمِيدٌ﴾ فصلت / ٤٢ ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ النحل / ٢١

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ الغاشية / ٢

الإظهار: اصطلاحا، إظهار النون عند أصوات الحلق وهي أ هـ ع ح غ خ أي تظهر النون
إذا جاء بعدها حرف من الحروف السابقة نحو:

أ - النون والهمزة نحو:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ الأنعام / ٢٦

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة / ٦٢

ب- النون والهاء:

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الرعد / ٣٣

﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ التوبة / ١٠٩

ج- النون والعين:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة / ٧

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾ التوبة / ١٢٠

د- نون وحاء:

﴿يَنْتَحِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ الحجر / ٨٢

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة / ٢٢٨

هـ- نون وغين:

﴿فَسَيُغْضُوبُونَ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ﴾ الإسراء / ٥

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ الأعراف / ٤٣

و- نون وحاء:

﴿وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ هود / ٦٦

القلب:

لغة: تحويل الشيء عن وجهه، واصطلاحاً: قلب النون ميماً قبل الباء نحو:

﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ الشمس / ١٢

﴿أَنْ تُودَىٰ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ النمل / ٨

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج / ٦١

الإخفاء:

لغة: الستر، واصطلاحاً: النطق بالصوت بصفة خاصة وهي ذهاب النون وبقاء صفتها

الألفية وحروفه (ف ث ذ ظ د ض ت ط س ص ز ش ج ك ق) نحو:

١- النون والفاء:

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ﴾ التوبة / ٣٨

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الممتحنة / ١١

٢- نون وطاء:

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رَّزَقًا﴾ البقرة / ٢٥

٣- نون وذال:

﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ المائدة / ٩١

٤- نون وضاء:

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ الواقعة / ٨٤

٥- نون ودال:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ إبراهيم / ٣٠

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هود / ٦

٦- نون وكاف:

﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ الفتح / ١٠

٧- نون وقاف:

﴿إِنَّا قَالُوا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الأعراف / ١٢٥

٨- نون وصاد:

﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ هود / ١١٣

﴿وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المائدة / ٢

٩- نون وسين:

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإسراء / ١١

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ النحل / ٢٨

١٠ - نون وزاي:

﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ الإسراء / ١٠٦

﴿ فَإِنْ رَلَّلْتُمْ ﴾ البقرة / ٢٥

وينقسم إلى قسمين من حيث الغنة:

أ - إدغام ناقص بغنة «وهو الذي لا يتم فيه فناء النون تماما بل يترك الصوت بعد فوائه أثرا يسمى الغنة»

والحروف التي يدغم فيها النون أو التنوين بغنة هي «ينمو» نحو: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ ﴾ الزلزلة / ٨ وتنطق «ومنيعل» ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام / ٩٩ وتنطق «لقوميؤمنون» ﴿ مِنْ وَرَائِهِمُ ﴾ الجاثية / ١٠ وتنطق «مورائهم» ﴿ جَنَّاتٍ وَعِوْنٍ ﴾ الحجر / ٤٥ وتنطق «جئاتوعيون» ﴿ حَاطَّةٍ تُغْفِرُ لَكُمْ ﴾ البقرة / ٥٨ وتنطق «حطتغفر» ﴿ مَنْ مَالِ اللَّهِ ﴾ النور / ٣٣ وتنطق «مال الله»

ب - الإدغام التام (بدون غنة)

وفيه لا يبقى للنون أثر عند النطق ويكون مع اللام والراء نحو: ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة / ٢ وتنطق «مربهم» ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة / ٢ وتنطق «هذللمتقين»

٢ - الإقلاب: ويكون بقلب النون الساكنة أو النون أو التنوين ميما مخففة وجوبا عند مجاورتها الباء نحو: ﴿ نُودِي أَنْ بُورِكَ ﴾ النمل / ٨

﴿ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ الحج / ٧٥

﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران / ١١٢

فإذا وقعت النون الساكنة قبل الباء فإنها تتأثر بها، ويتغير نطقها ولكن لا يصل ذلك إلى حد الفناء لتام في الباء نحو: ﴿ أَنْبَأَهُمْ ﴾ البقرة / ٣٣، ﴿ جُدُّ بَيْضٌ ﴾ فاطر / ٢٧

١ - الإخفاء: ومعناه الستر والكتم، ويعني إخفاء النون الساكنة والتنوين مع الحروف التالية (ق ك ج ش س ص ز ض ط ذ ظ ف) نحو:

- ﴿سميع قريب﴾ سبأ / ٥٠
 ﴿فصبر جميل﴾ يوسف / ١٨
 ﴿غلاماً زكياً﴾ مريم / ١٩
 ﴿وكأساً دهاقاً﴾ النبأ / ٣٤
 ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ المزمل / ٥

أحكام الميم الساكنة

١- **الإدغام:** تدغم بمثلها مع الغنة، فتصيران ميماً مشددة نحو: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هود / ١٣

٢- الإخفاء

تخفى بغنة عند مجاورتها الباء نحو:

﴿ترميمهم بحجارة﴾ الفيل / ٤

٣- إظهار الميم

تظهر الميم الساكنة عند مجاورتها باقي الحروف الهجائية نحو: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ النحل / ٤٩

﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ فصلت / ٣٧

وتكون أشد إظهاراً عند مجاورتها الواو أو الفاء نحو:

﴿قم فأنذر﴾ المدثر / ٢

﴿عليهم ولا الضالين﴾ الفاتحة / ٧.

الظواهر الخاصة بالحركات

الحركات الأصلية ثلاث الفتحة والضمّة والكسرة، وحكمها أن كل حرف تحرك بها يجب أن « يلفظ بها محرّكاً ممكناً من مخرجه، معتمداً عليه في مدرجه، حتى يحكى بجميع صفته، وتتمام حركته، معتدلة في الوزن الحسن، يعتد بعد أدائها حتى يوجب الاعتماد والخروج عن

الحد حدوث حرف يقوم على ذاتها، فإشباع الفتحة يحدث الألف، وإشباع الضمة يحدث الواو، وإشباع الكسرة تحدث الياء^(١)

الروم والإشمام:

قال سيبويه: «فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك وبالتضعيف^(٢)»

ويسمى الوقف على آخر الألفاظ المنتهية بصورة الضمة إعراباً أو بناءً وبصورة الكسرة غير التي لالتقاء الساكنين، والتي هي التنوين عوض في مثل هذه الألفاظ، فالمضموم إعراباً أو بناءً إذا وقف عليه وأردت أن ترى صورة حركة الضمة دون صوتها جعلت شفتيك على هيئة حركتها فهو يرى ولا يسمع، وهذا يسمى الإشمام بالحركة.

أما الروم فيكون عند الوقف على الألفاظ المنتهية بالضم أو الكسر في حالة النطق بها، فينطق ببعض صوتها مع إظهار صورة الحركة، فينطق ببعض صوت الضمة أو الكسرة وهذا ما يسمى بالروم.

يقول مكّي: «إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت في الوصل، فأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام لأن الروم يسمع ويرى والإشمام يرى ولا يسمع^(٣)»

ويقول ابن جنّي: «وأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً»

والإشمام يرى فقط لأنه إيماء بالشفيتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف ولذلك لا يعرفه إلا البصير حين يرى القارئ في حالة الرفع والضم فقط.

مواضع الروم والإشمام:

هناك مواضع يمنع فيها الروم والإشمام، فليس كل متحرك بالرفع أو الضم نقف عليه بالروم أو الإشمام يقول المرعشي: اعلم أن الروم والإشمام لا يكونان في هاء التأنيث، ولا في

(١) غانم مدوري: الدراسات الصوتية / ٤٢٧

(٢) الكتاب ٤ / ١٦٨

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع / ١٢٢

ميم الجمع، ولا في الحركة العارضة في الوصل، والمراد من هاء التأنيث تاء التأنيث المبدلة هاء في الوقف، والمراد بميم الجمع ما يوصل بواو عند بعض القراء، والحركة العارضة لالتقاء الساكنين نحو: لم يكن الذين^(١)

ويرى جمهور النحاة والقراء أن الإشمام لا يكون في غير المرفوع.

الاختلاس والإخفاء:

وهو تقصير يلحق بالحركات يقول الداني: « فأما ما ضعفت صوتك بحركته ولم تتمه فنحو الروم والإخفاء والاختلاس، وهو محرك في الحقيقة. »^(٢)

ويقصد به الإسراع بالحركة - خطف الحركة بسرعة - يقول الداني: « وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعاً يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة، إلا أنها لم تخطط، ولا ترسل بها، فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها »^(٣)

ويقصد بإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة يكون ينقصان مدها يقول الداني: « وأما إخفاء الحركات فهو اختلاسها والإسراع باللفظ بها من غير تسكين ولا تشديد، وهو عند النحويين بزنة متحرك، يعنون أن الصوت يضعف لأنه يسكن رأساً، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ يوسف / ١١، وقوله: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ﴾ البقرة / ١٨٥، ﴿وَيَجِلْ لَكُمْ﴾ النساء / ١٩، ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ﴾ الأعراف / ٣٢^(٤)

فاختلاس الحركة أي سرعة النطق بها في ﴿بَارِئُكُمْ﴾ البقرة / ٥٤، ﴿يَشْعُرْكُمْ﴾ الأنعام / ١٠٩ يقول سيبويه: «كان أبو عمرو يختلس الحركة من «بارئكم» و«يأمركم» وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات فيرى من سمعه أنه قد أسكن، ولم يكن يسكن.

والحقيقة أن الاختلاس يقصد به إعطاء الحركة حقها مع التحفظ من الإشباع والزيادة في المد لأنه موضع تميل الضمة فيه إلى الطول فيتولد منها حينئذ حرف من جنسها وهو الواو، وفي ذلك إخلال بالتلاوة كقراءة «هو الذي» أي إذا انفتحت الواو وكان ما قبلها مضموماً،

(١) جهد المقل / ٥٤

(٢) شرح قصيدة أبي مزاحم / ١٣٨

(٣) ابن الطحان: مرشد القارئ / ١٣٥

(٤) شرح قصيدة أبي مزاحم / ١٣٨

فينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات مختلصة.

الوقف على المتحرك:

لوقف يكون على الساكن فإذا وقف على المتحرك سلبت حركته يقول أبو حيان: «الوقف قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة»^(١)

ويقول عبد الوهاب القرطبي: في قوله تعالى: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ البقرة / ٧١، ﴿الْهَٰوِيَّةُ﴾ القارعة / ٩، ﴿وَاهِيَةً﴾ الحاقة / ١٦، وما أشبه ذلك ينبغي أن يتوقى الإفراط في إشباع فتحة الياء، وإن كانت الياء حرفاً خفياً، سيما في الوقف، فإنه موضع استراحة واستنفاد للصوت وقطع له، وكثيراً ما ترى القراء في هذا الزمان إذا وقفوا على مثل هذا أشبعوا الفتحة ومططوا حتى تصير ألفاً فيقولون: ما هياه، نار حامياه، فقس على هذا جميع ما يرد عليك من الحركات التي تكون على الحروف قبل أواخر الكلم مثل: ﴿الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر / ٣، ﴿الصَّمَدُ﴾ الإخلاص / ٢، ﴿وَالْبَلَدُ﴾ الأعراف / ٥٨ وما أشبه ذلك فإن الحكم فيه واحد لا يختلف^(٢)

السكون:

يقول ابن جني: الحروف في الحركة والسكون على ضربين: ساكن ومتحرك فالساكن ما أمكن تحميله الحركات الثلاث نحو كاف بكر وميم عمرو، ألا تراك تقول بكر وعمر وبكر وعمر وعمر وبكر وعمر فلما جاز أن تحمله الحركات الثلاث علمت أنه قد كان قبلها ساكناً^(٣)

الإشمام:

هو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وهو جعل الشفتين على صورة التلفظ بالضمة فيدرك ذلك بالعين ولا يسمع ويكون عند الوقف على المضموم نحو: من قبل، والمرفوع نحو: الله الصمد.



(١) ابن الجزري: النش / ٢٤٠

(٢) الموضح / ١٨٤

(٣) " " " " " " ٣١ / ١

الترادف في لغتنا العربية

أسباب وجود الترادف في اللغة:

كان مدونو المعجمات يسجلون الكلمات المهجورة في الأزمنة المختلفة وهذه الكلمات كانت مستعملة كلهجة لقبائل انقرضت أو غلبت عليها لهجات أخرى، وينكر كثير من العلماء وقوع الترادف في العربية، ويقول أن للكلمة استخداماً واحداً والباقي صفات لها يقول أبو علي الفارسي: «كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، ومنهم ابن خالوية فقال ابن خالوية: احفظ للسيف خمسين اسماً فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خالوية: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات»^(١)

ويقول ابن فارس: يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى^(٢)

ويرى الباحث أن كل كلمة من الكلمات التي يظن أنها مترادفة لها معنى دقيق غير موجود في الأخرى، ولا توجد كلمتان تؤديان المعنى نفسه دون اختلاف في المعنى يقول ابن فارس في قول من خطأ قول الشاعر:

وهند أتى من دونها النأي والبعد

قال ابن فارس: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى^(٣)

ويضرب ابن فارس أمثلة مختلفة يؤكد بها الاختلاف بين الألفاظ في الدلالة، وينفى الترادف التام مؤكداً فكرته إن في كل كلمة معنى ليس في الأخرى يقول ابن فارس: ألا ترى

(١) المزهر / ٤٠٥ .

(٢) الصاحبي / ٦٥ .

(٣) السابق / ٦٦ .

أنا نقول قام ثم قعد وأخذه المقيم والمقعد، ثم نقول: كان مضطجعاً فجلس، فيكون القعود عن القيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس، لأن الجلوس المرتفع والجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجري الباب كله ^(١)

ويقول علماء الأصول بوقوع الترادف في اللغة العربية، ويفسرون ذلك بوجود وضعين مختلفين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحدهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية ^(٢)

الترادف في لغة قريش:

كان لقريش مكانة عظيمة بين القبائل، فكانت تقابل الوفود من شتى بقاع الأرض في مواسم الحج والتجارة، فتنقى من لهجاتهم ما يروق لها فيدخل في صلب لهجة قريش ويستخدمه القرشيون حتى انتشر في اللغة وأصبح من مفرداتها، فلما نزل القرآن الكريم خاطب العرب بلغتهم، وهذا يفسر وجود الترادف بين «أقسم وحلف» في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وقوله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ التوبة ٧٤

وترادف بعث وأرسل في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مَعْذِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وترادف فضل وأثر في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ البقرة ٢٥٣ وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾

فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخاصة أحد اللفظين في هذه الأمثلة الثلاثة، وإنما اكتسبت اللفظ الآخر من احتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية المستقلة ^(٣)

ويرى الباحث أن الكلمات القريبة في معناها والتي يطلق عليها تجاوزا المترادفة مثل جلس وقعد، وثب وقعد لم تنشأ في محيط لغوي واحد في قبيلة واحدة، وإنما نشأت في بيئات ثقافية مختلفة واستخدمت عند كل قبيلة بمعناها، ولهذا وجد الترادف في اللغة العربية ولكنه ليس انطباقاً تاماً بل في كل كلمة معنى دقيق ليس موجود في الأخرى كالشك والريب، وجلس وقعد وغيرها.

(١) السابق / ٦٦ .

(٢) المزهري / ١ / ٤٠٥ .

(٣) صبحي الصالح: دراسات في ثقة اللغة / ٣٠٠ .

يقول الأصفهاني: «وينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل»^(١)

والأصفهاني يؤكد وجود الترادف بين اللهجات المختلفة نتيجة استخدام كل قبيلة مفرداتها الخاصة بها، فإذا قارنت بين القبائل ولهجاتها رأيت شواهد كثيرة للترادف مستخدمة بين القبائل المختلفة.

وللمجاز دور كبير في وجود الترادف في اللغة العربية، حيث يكثر استخدام المجاز حتى تألفه الأذن العربية والذوق العام، ومن ثم تتلاشى العلاقة وتستخدم الكلمة بجانب الحقيقة، ومن شواهد ذلك «تسمية العسل بالمأذية والثواب والصهباء والسلاف والنحل، ومنه تسميتهم اللغة لساناً، والزواج بناء، والجاسوس عينا»^(٢)

ولاختلاف النطق بين القبائل آثار واضحة في انتشار الترادف في اللغة كقولهم في السراط: الصراط، والزراط، وفي سقر، وصقر، وجذب وجبذ، وطمس وطسم ونحو ذلك»^(٣) وروى ابن جني عن الأصمعي أنه قال اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد، وقال الآخر: السقر بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما إنما هو الزقر، قال ابن حنى: أفلا ترى! إلى كل واحد من الثلاثة: كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين معها، وهكذا تتداخل اللغات»^(٤)

هل في القرآن ترادف؟

يقول صبحي الصالح: «لامناس من التسليم بوجود الترادف كما أنه لا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، غير أن الفروق تنوسيت فيما بعد وأصبح من حق اللغة التي ختمتها إليها أن تعتبر معاً ملكها، ودليلاً على ثرائها وكثرة مترادفات»^(٥) ويرى إبراهيم أنيس أن الترادف موجود بكثرة في القرآن الكريم ويقول إنه ليس هناك داع إلى ذكر بعض المفسرين فروقا دقيقة بين الكلمات المترادفة في القرآن الكريم»^(٦)

(١) المزهري ١ / ٤٠٥ .

(٢) مجلة اللغة العربية ج ١ / ٣٢٩

(٣) فقه اللغة / ٣٧٠

(٤) الخصائص ١ / ٣٧٢

(٥) صبحي الصالح : دراسات في اللغة / ٣٠٠

(٦) في اللهجات العربية / ١٨١

ويسوق إبراهيم أنيس أمثلة على الترادف في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾ يوسف / ٩١

وقوله تعالى: ﴿وأنى فضلتكم على العالمين﴾ البقرة / ٤٧

ومن قوله تعالى: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ النساء / ١٨

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ الأنعام / ٦١

ويوجه إبراهيم أنيس سياط اللوم إلى المفسرين الذين يبحثون عن الفروق الدقيقة في الاستخدام اللغوي للكلمات المترادفة في القرآن الكريم فيقول «الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أموراً سحرية، ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم فهم قوم شديدي الاعتزاز بالفاظ اللغة يتبنون الكلمات ويرعونها رعاية كبيرة، ينقبون عما وراء المدلولات سابحين في عالم من الخيال يصور لهم من دقائق المعاني وظلالها، مالا يدركه إلا هم ولا يقف عليه إلا أمثالهم، وفي كل هذا من المبالغة والمغالة ما يباه اللغوي الحديث في بحث الترادف

ويرى جمال الدين عياد أن الترادف موجود وبكثرة في القرآن الكريم ويضرب أمثلة لذلك بقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر﴾ المدثر / ٢٨ ويقول: هناك من يرى أن الترادف ظاهر بين لفظ ﴿لا تذر﴾ ولفظة ﴿لا تبقى﴾ وإنما جاء العطف هنا بقصد التأكيد، ولمناسبة الفاصلة لا غير^(١)

ويرى الباحث أن القائلين بالترادف في العصر الحديث مقتفين أثر السابقين في تفسير الكلمات التي ظن السابقون أنها مترادفة ترادفاً تاماً، والحقيقة أن لكل كلمة في كتاب الله تعالى معنى دقيق وفق السياق اللغوي الذي وردت فيه، ولا يمكن أن تؤدي المعنى نفسه كلمة أخرى من الكلمات القريبة في المعنى منها والتي يظن ترادفها معها ترادفاً تاماً.

وفي تفسير كتاب الله تعالى لا يزيد عملنا على اختيار كلمات قريبة في معانيها لتقرب المعنى إلى المتلقي ولتأمل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

البقرة / ١٠٤

(١) جمال الدين عياد: بحوث في تفسير القرآن / ١٠٧

ونتساءل: هل راعنا بمعنى انظرنا؟ ولماذا قال الحق سبحانه قولوا انظرنا ونهى عن قول: راعنا؟

فلو كانت الكلمتان بمعنى واحد لما نهى الحق سبحانه عن قول الأولى ووجه إلى قول الثانية، فكلمة: راعنا: كلمة سب لا تليق والأخرى قول انظرنا والله أعلم.

ولبيان الفروق الدقيقة بين الكلمات المترادفة نذكر حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: فرق رسول الله ﷺ بين فك الرقبة، وعتق النسمة: وبين أن بينها فرق فليستا مترادفتين، فعن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة.

فقال: لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة، وفك الرقبة، فقال: يا رسول الله، أليستا بواحدة؟ قال: لا، إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها^(١)

وفي حديث رسول الله ﷺ الذي يفرق فيه بين الرسول والنبى ﷺ دليل آخر على أن في كل واحدة، منهما معنى ليس في الأخرى، ولو كانتا بمعنى واحد، ما قال النبى ﷺ نبيك وهو أفصح العرب.

وقد جاء في الحديث قال ﷺ: «آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت» فقال البراء بن عازب: آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبى ﷺ ونبيك الذي أرسلت^(٢)

الفروق اللغوية عند علماء اللغة:

وقد ذكر علماء اللغة فروقا دقيقة بين الكلمات المترادفة، ومن هؤلاء الثعالبي فقد ذكر في الفروق اللغوية كثيراً من الكلمات المترادفة ثم ذكر الفروق الدقيقة بينها نحو الأسف والحزن والبث التي زعم المفسرون أنها مترادفة، والحقيقة أن بين كل منها فروقاً ليست في الأخرى فالأسف: حسرة معها غضب أو غيظ والحزن: يفيد غلظ الهم، والبث يثبت ولا ينكتم: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾

وكذلك الفروق بين البأساء والضراء، فالبأساء: ضراء معها خوف، وأصلها البأس وهو الخوف، والضر يكون من حيث لا يعلم المقصود به.

(١) أخرجه أحمد في مسند ٢٩٩/٤، والحاكم في المستدرک ٢٠٧/٢

(٢) أخرجه البخاري، انظر فتح الباري ١١/١٠٩، مسلم ٣٢/١٧

والفرق بين الفناء والنفاد، فالفناء: ينتهي فيه الشيء مرة واحدة، والنفاد: يفنى آخر الشيء بعد فناء أوله أي أنه فناء تدريجي.

ومثله الفرق بين اللوم والتثريب، فاللوم يكون على الفعل الحسن والقبيح والتوبيخ والتعنيف لا يكونان إلا مع التثريب، ويكونان على فعل قبيح.

أما الظن والشك فالفرق بينهما كبير، فالظن: رجحان أحد طرفي التجويز وهو أيضا: قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حالة الثقة الثابتة.

والشك: استواء طرفي التجويز، لأن الشك هو اجتماع شيئين في العقل.

والريب: شك مع تهمة.

والقانع والمعتز، فالقانع هو السائل، من قبيل أدب الخطاب كقولنا: السليم للمريض، أما المعتز: فهو الذي يلم بك لتعطيه ولا يسأل

والفقير: الذي لا يسأل، والمسكين: من يسأل وهو أضعف حالا وأبلغ في جهة الفقر.

الأدلة على منع الترادف التام:

يرى ابن تيمية أن عطف الشيء على الشيء في القرآن، وسائر الكلام يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإن اشتركا في الحكم، ومنه ما هو دون ذلك كعطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الأعلى ١-٣

ولذلك غلط ابن تيمية من يقول: إن الشريعة هي المنهاج في قوله تعالى:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ المائدة ٤٨

فقال ابن تيمية: « هذا غلط، مثل هذا لا يجيئ في القرآن ولا في كلام فصيح وغاية ما يذكر

اختلاف معنى اللفظ»^(١)

فإن قيل: لقد جاء في لغة العرب عطف المترادفين كقول الخطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها الناي والبعد^(٢)

(١) ابن تيمية: كتاب الإيذان / ١٦٩

(٢) ديوان الخطيئة / ٣٩

فإن النأي أعلم من البعد وأشمل، وهما من قبيل المعاني المشتركة في المعنى وليس بينهما اشتراك تام بحيث تنطبق إحداها على الأخرى، والبعد يستخدم فيها كثرت مسافته وطالت قال تعالى: ﴿وهم ي نهون عنه وينأون﴾ الأنعام / ٢٦

المفسرون وإنكار الترادف التام:

ويقول الزمخشري في بيان الفرق بين البث والحزن في قوله تعالى: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ يوسف / ٨٦

قال: حيث فرق بجعل البث يختص بأصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيثبه إلى الناس، وينشره بينهم، ليخفف عن نفسه بعض ما يجد^(١)

كما فرق بين العوج والأمت في قوله تعالى: ﴿لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ طه / ١٠٧ ويرى أن: «أمتا» من الأمت المختص بالتواء اليسير، بينما العوج يعنى التواء والتعرج الكبير.^(٢)

ويرى القرطبي أن العوج خاص بالفجاج، والأمت خاص بالنباك أي التلال^(٣)

كما فرق القرطبي بين البأساء والضراء في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ الأعراف / ٩٤

فقال: البأساء: المصائب في الأموال، والضراء في الأبدان^(٤)

تقول بنت الشاطئ: اللفظ لا يقوم مقامه سواء، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، بل الحركة والنبرة تأخذ مكانها الخاص في النظم المعجز، ويكفى أن يقال: إن هذه الصيغة أو الدلالة قرآنية، ثم لا يعترض بعد ذلك بأن العربية تعرف صيغا ودلالات أخرى للكلمة: بل إنه لا توجد كلمة قرآنية بديلة لأخرى من كلماته في غير موضعها منه، وسياقها فيه «^(٥)



(١) تفسير الزمخشري ٢ / ٣٣٩

(٢) السابق ٢ / ٥٥٣

(٣) القرطبي ١١ / ٤٤٦

(٤) السابق ٦ / ٤٢٤

(٥) التفسير البياني للقرآن الكريم / ٥٠٨

المشترك اللفظي

معنى المشترك اللفظي:

إذا كان الترادف هو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد فإن المشترك اللفظي هو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ تطلق على كل منها على طريق الحقيقة « لا المجاز كلفظ الخال الذي يطلق على أخي الأم وعلى الشامة في الوجه وعلى السحاب وعلى البعير الضخم وعلى الأكمة الصغيرة »^(١)

ويميز السياق اللغوي بين المعاني المختلفة للكلمة الواحدة وذلك وفق السياق اللغوي الذي تساق فيه الكلمة فكلمة إنسان في قولنا محمد إنسان غيرها في إنسان العين، أو إنسان السيف بمعنى حده أو حد السهم وغيرها.

وهذا أمر موجود في لغتنا العربية لا يمكن إنكاره أو تجاهله فهو موجود في لغتنا، والسياق اللغوي يحدد المعنى المقصود بدقة، وهو من قبيل المشترك اللفظي للتشابه في الدلالة بين المعاني المختلفة، وقد استخدمه اللغويون في المعنى الأول على سبيل الحقيقة، والباقي يستخدم على سبيل المجاز لعلاقة المشابهة بين الأمرين فهلال السماء يشبه هلال الصيد، وهلال الإصبع، والجمال الهزيل وغيرها.

ويرى ابن سيدة: « أن إطلاق الهلال على ما عداه من المعاني السابق ذكرها من قبيل المجاز، لوضوح علاقة المشابهة بينهما وبين هلال السماء في صورته أو ضالته، وكل ما هنالك أنه قد كثر استخدامه في هذه المعاني فلم يلاحظ فيها وجه المجاز وأصبح إطلاقه عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته »^(٢)

أسباب وجود المشترك اللفظي:

اختلاف لهجات العرب أدى إلى استخدام ألفاظ تؤدي المعنى، وهي تختلف بين القبائل المختلفة، ثم جاء واضعوا المعاجم فضموا هذه الألفاظ إلى بعض.

ثم إن للنطق الصوتي أثراً واضحاً في وجود المشترك اللفظي عن طريق النطق بالكلمة

(١) السابق / ٥٠٨

(٢) المخصص: ابن سيدة ١٣ / ٩٥٢

بالزيادة أو النقص أو كالصقر والسقر والزقر وغيرها.

السياق ودوره في تحديد المعاني المشتركة :

السياق هو النظم والعلاقات التركيبية في الجملة التي ينشأ عنها المعنى، وبذلك يختلف المعنى من سياق لغوي إلى آخر، فالسياق تركيب يوجد ارتباطات بين أجزاء الجملة، ويحدد معنى اللفظ تحديداً دقيقاً.

ولكي نرى أهمية السياق في تحديد المعنى نأخذ هذه الأبيات لنرى كيف يختلف معنى كلمة « الغروب » فيها من بيت لآخر يقول الشاعر :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب

كانوا وفيهم طفلة حرة تفتت عن مثل أقاحي الغروب

فليس متعذراً أن يفهم من وحى السياق أن الغروب الأول: غروب الشمس والثاني:

جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة^(١)

الأضداد

مفهوم الأضداد: هي نوع من المشترك اللفظي، وهو في اللغة يعنى: كل شيء ضاد سيئاً

ليغلبه، وضده: خلافه، ومثله أيضاً، حكى أبو عمرو: الضد مثل الشيء: والضد خلافه^(٢)

والضد اصطلاحاً: قال سيبويه: اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف

المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين^(٣)

أسباب وجوده في العربية:

إذا وقع الحرف على معنيين متضادين في الأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة

الاتساع، ومن ذلك: الصريم يقال لليل صريم، وللنهار صريم، لأن الليل ينصرم من النهار،

والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع وكذلك الصارخ:

(١) المزهر في علوم اللغة: السيوطي ٣٧٦/١

(٢) لسان العرب، مادة ضد

(٣) كتاب سيبويه ٨/١

المغيث، والصارخ المستغيث، سمياً بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة فأصلهما من باب واحد^(١)

ويرجع سبب وجوده في العربية إلى تعدد لغات القبائل، ولكل قبيلة ألفاظها الخاصة بها، فلما وضع علماء اللغة المعاجم ضمت الألفاظ إلى بعضها وأصبحت متضادة وبذلك يكون اللفظ المتضاد مذكور في أكثر من لغة، وليس هناك لفظ عند قبيلة يستخدم للدلالة على المعنى وضده.

فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر.^(٢)

فوائده: قال أبو حاتم السجستاني: «إنما قيل للعطشان ناهل على سبيل التفاؤل، كما يقال: المفازة للمهلكة على التفاؤل، ويقال للعطشان ريان، وللملدوغ سليم أي سيسلم، وسيروى ونحو ذلك، لأن معنى فاز نجا، فالمفازة المنجاة، كما قال تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ آل عمران / ١٨٨ أي بمنجاة^(٣)

إن اللغة موضوعة للإبانة والوضوح، ووجود التضاد دليل على اتساع اللغة فقد يجيء التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى عام، يشترك فيه الضدان، فتصلح لكل منها لذلك المعنى الجامع، وهذا ما يسميه أحياناً علماء الأصول بالمشترك المعنوي، وقد يغفل بعض الناس عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد، ومثال ذلك: القرء في إطلاقه على الحيض والطهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة، والزوج في إطلاقه على الذكر والأنثى^(٤)

عوامل وجود التضاد:

يرجع وجود التضاد في اللغة إلى اختلاف اللهجات العربية، فكثير من الكلمات وصلت

(١) المظهر ١ / ٤٠١

(٢) السابق / ٤٠١

(٣) الأضداد / ٩٩

(٤) على عبد الواحد وافي: فقه اللغة / ١٩٥

إلى التضاد عن طريق اختلاف استخدام القبائل للألفاظ كلفظ «وثب» بمعنى «ظفر» عند قبيلة مضر، وبمعنى «قعد» عند حمير.

وقد يرجع السبب في وجود التضاد إلى أصل الكلمة فربما رجعت الكلمة إلى أصلين، فتكون دلالتها على أحد الضدين مأخوذة من أصل دلالتها على الآخر منحدره من أصل آخر كلفظ «هجد» بمعنى نام وسهر «فمن المحتمل أن تكون في معنى النوم منحدره من هداً إذا سكن، وفي معنى السهر من جد إذا جهد، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم، ومنه أيضاً «سجد» بمعنى انحنى وانتصب فتكون في معنى الانحناء، مأخوذة من سج بمعنى رمى، وفي معنى الانتصاب من سد، لأن ما يسد شيئاً يرتفع فوقه فكأنه منتصب»^(١)

دور السياق في تحديد المعنى:

السياق قادر على تعيين الغرض من الألفاظ، فإذا فهم القارئ نظم الجملة فإنه يستطيع تحديد معناها بدقة، كقول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جليل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

من سياق البيت نرى أن كلمة «جليل» بمعنى يسير، وليس عظيم وإن كان استخدامها في سياق آخر تكون بمعنى عظيم نحو: هذا شيء جليل ﴿أتعبد من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾!^(٢)

الجرس اللفظي والمعنى

من الدقة في التعبير القرآني استخدام اللفظ المعبر بإيقاعه على المعنى بدقة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فكذبوا فيها﴾ الشعراء / ٩٤ يقول الزمخشري: والكبكة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب كبة مرة بعد أخرى، حتى يستقر في مقرها»^(٣)

وإذا تأملنا دلالة اللفظ على المعنى، نرى قدرة اللفظ على تقريب الصورة الحركية التي يحدثها تكرار حروف اللفظ على المعنى لنقل التأثير إلى ذهن السامع فيسمع اللفظ معبراً

(١) السابق / ١٩٨

(٢) الكشف / ٣ / ٢٥٣

بايقاعه عن الحركة والتصوير كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ التوبة ٣٨ حيث ينقل اللفظ صورة الجسم المتناقل إلى الأرض الذي يتبأطاً لثقله عن القيام بدوره في أداء واجب الدفاع عن الدين عند النداء للجهاد، وقد أدى اختيار البناء اللفظي بهذه الصورة من الزيادة في اللفظ إلى زيادة المعنى، فكان الإيقاع الصوتي للكلمة معبراً عن المقصود بدقة وهو التكاسل والتباطؤ عن حق الدفاع عن الدين. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطُنَّ﴾ النساء ٧٢

حيث يوحى جرس الكلمة بالبطء والتراخي والتعثر كما يوحى بالتخبط والضياع، فالتباطؤ توحى بحرسها الصوتي على التكاسل الذي يؤدي إلى ضياع الفرصة وما يترتب عليها من الندم. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ﴾ فاطر ٣٧ وهى توحى باستمرار الصراخ، وإظهار التألم والمعاناة التي يعانى منها الكافرون في نار جهنم، ويقابل هذه الصراخ بعدم استجابة خزنة جهنم لصراخهم، فهم يصطرخون، ويطلبون الغوث والعون ولكن الرد عليهم جزاء وفاقاً، فإن ﴿يَسْتَغِيثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا نِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُ فَنُكْمُوهُمَا وَأَنَّا نِي كَارِهُونَ﴾ هود ٢٨ نرى في كلمة ﴿أَنزَلْنَاهُ فَنُكْمُوهُمَا﴾ جرساً إيقاعياً يوحى بالإكراه في إلزام الكافر أمراً ثقيلاً على نفسه وهو كاره له، فالحق سبحانه وتعالى يستنكر عليهم هذا الأمر فهم يرون الرسول بين أيديهم، ينذرهم بعذاب الله، ويبشرهم برحمة من عنده، وهم لا يشعرون لأن قسوة قلوبهم، والكبر الذي سيطر عليهم منعهم من رؤية الحق وإتباعه، ولذلك كان إلزامهم بالأمر ثقيلاً عليهم لأنهم كارهون له نافرون منه. وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ الأنفال ١١ حيث يوحى لفظ يغشيككم برقة الغشاء الذي يحيط بالإنسان، ويضرب على حواسه فلا يشعر بالجو الخارجي المحيط به، رحمة من ربك ليستريح الإنسان من التعب في هذا الجو الآمن الهادئ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الأعراف: ١٧٥

وإذا تأملنا لفظ « فانسلخ » بما يحمله من شدة التملص والانسلاخ من الأمر والخروج عليه نرى صورة الكافر وهو يتملص من الأمر ومن الالتزام بالطاعة كما يتملص الجلد على الجسم عند انسلاخه عنه وقد جاء اللفظ بإيقاعه الصوتي مصوراً لحالة الكافر المتملص من

طاعة الله تعالى، المنعزل عن المجتمع برفضه وعدم التزامه. وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ الطور ١٣، فلفظ الدع يصور مضمون الزجر والدفع إلى النار ومحاولة الكافر الخروج من النار فراراً من العذاب فيدع في الجحيم حتى يذوق جزاء عمله في الدنيا، يقول سيد قطب: «ومما يلاحظ هنا أن الدع هو الدفع في الظهور بعنف، وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه عين ساكنة هكذا: أع وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس «الدع»^(١)»



(١) التصوير الفني في القرآن / ٨١

مراجع البحث

- ١- المصحف الشريف
- ٢- تحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي: أحمد بن محمد الشهير بالبنا (ت ١١١٧ هـ) تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ط. مكتبة الكليات الأزهرية. مصر.
- ٣- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. المشهد الحسيني. القاهرة ١٩٦٧.
- ٤- أحكام القرآن لأبي بكر عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) تحقيق على محمد البجاوي ط. عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- ٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) ط. دار الجيل بيروت.
- ٦- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- ٧- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن ابن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ط. دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٥٧ م.
- ٨- تاريخ الطبري المسمى: تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م.
- ٩- تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ط. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦٩ م.
- ١٠- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد طاهر عبد القادر الكردي ط. مكتبة المعارف - الرياض.
- ١١- تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح عبد الغنى القاضي (ت ١٤٠٣ هـ) ط. مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة ١٩٦٥ م.
- ١٢- تدريب الراوي في شرح تقريب النوي للسيوطي ط. المكتبة العلمية. المدينة المنورة ١٩٧٢. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
- ١٣- جامع البيان عن تأويل القرآن المشهور بتفسير الطبري لأبي جعفر محمد ابن جرير (ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ط. دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ.
- ١٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي (ت ٦٧١ هـ) ط. دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م.
- ١٥- حجة القراءات لأبي زرع: عبد الرحمن بن محمد بن زجلة (ت القرن الرابع تقريباً هـ) تحقيق سعيد الأفغاني ط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ.
- ١٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- رسم المصحف ونقطه للدكتور عبد الحي حسين الفرماوي ط. القاهرة.
- ١٨- رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية. للدكتور غانم قدوري الحمد الطبعة الأولى - العراق ١٤٠٢ هـ.
- ١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لأبي عبد الله محمد بن بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ط. المكتبة الحسينية المصرية ١٩٢٨ م.
- ٢٠- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح: أبو البقاء على بن عثمان بن محمد (ت ٨٠١ هـ) ط. المكتبة التجارية. القاهرة.

- ٢١- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ علي محمد الضباع (ت ١٣٧٦ هـ) قرأه ونقحه الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية. ط. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة.
- ٢٢- سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (٣٨٨ هـ) ط. دار الحديث - حمص سورية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٢٣- سنن ابن ماجه. للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار الفكر. بيروت.
- ٢٤- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) مع شرحه: تحقيق الأحمدي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ) مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٣٨٧ هـ.
- ٢٥- سنن النسائي: للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ط. دار الفكر - بيروت ١٣٤٨ هـ.
- ٢٦- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة. ط. مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ.
- ٢٧- شعب الايمان للإمام البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق أبو هاجر: محمد بسيوني زغلول ط. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠ هـ.
- ٢٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليعصبى (٥٤٤ هـ) وبهامشه مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشحني (ت ٨٧٢ هـ) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٩- الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ط. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٠- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) مع فتح الباري بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربى - القاهرة.
- ٣١- صحيح مسلم: للإمام أبي حسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار إحياء التراث العربى.
- ٣٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: أبو عبد الله محمد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) ط. دار صادر - بيروت ١٩٥٧ م.
- ٣٣- عنوان البيان في علوم التبيان للشيخ محمد حسنين مخلوف ط. مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٤ م.
- ٣٤- عيون الأخبار لابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٦ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.
- ٣٥- غيث النفع في القراءات السبع للشيخ علي النوري الصفاقسي طبع بهامش «سراج القارئ» لابن القاصح ط. مصطفى البابي الحلبي.
- ٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط. المكتبة السلفية.
- ٣٧- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق وهبى سليمان غاوجي ط. دار الكتب العملية - بيروت.
- ٣٨- فضائل القرآن للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البناء، ط. دار القيلة ١٤٠٨ هـ.
- ٣٩- فيض التقدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوى (ت ١٠٣١ هـ) ط. دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ.
- ٤٠- القاموس المحيط للفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ط. مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢ م.
- ٤١- القراءات في نظر المستشرقين والمحدثين للشيخ عبد الفتاح القاضي ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٢ م.

- ٤٢- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: أبو بكر أحمد بن موسى ابن العباس البغدادي (ت ٣٢٤هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط. دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
- ٤٣- كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٣١٦هـ) تحقيق ونقد الدكتور محب الدين عبد السجان واعظ ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤٤- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) تحقيق مصطفى حسين أحمد ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٣م.
- ٤٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م.
- ٤٦- لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني: أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ) ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٩٧٢ تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين.
- ٤٧- لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمان للشيخ أحمد محمد أبو زيتحار ط. مكتبة محمد علي صبيح القاهرة.
- ٤٨- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ط. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦٤.
- ٤٩- مجلة المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة العدد الرابع السنة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٥٠- المحكم في نقط المصاحف للداني: أبي عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) ط. القاهرة.
- ٥١- مذهب التفسير الإسلامي - جولد تسيهر (إجناس) ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٥٥.
- ٥٢- المزهري في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطي ط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٨ تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي.
- ٥٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) دار صادر. بيروت.
- ٥٤- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ) الطبعة الأولى بحيدر آباد - الهند سنة ١٣٣٤هـ.
- ٥٥- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للأستاذ ناصر الدين الأسد ط. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩م.
- ٥٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف أحمد بن محمد ابن علي الفيومي (٧٧٠هـ) ط. المكتبة العلمية. بيروت.
- ٥٧- مع القرآن الكريم - دراسات وأحكام - حيدر فقه ط. دار الضياء - الأردن عمان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥٨- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي: (ت ٦٢٦هـ) ط. مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م.
- ٥٩- المعجم الصغير للطبراني: أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) ط. دار الفكر ١٤٠١هـ.
- ٦٠- معرفة القراء الكبار للذهبي: شمس الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ط. دار الكتب الحديثة. القاهرة ١٩٦٩ تحقيق الشيخ محمد سيد جاد المولى.
- ٦١- مقدمة ابن خلدون ط. دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦م.
- ٦٢- المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط لأبي عمرو الداني تحقيق الشيخ محمد الصادق قمحاوي ط. مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٦٣- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: محمد بن عبد العظيم ط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٤٣م.
- ٦٤- منجد المقرئين ومرشد الطالبين للإمام ابن الجزري: محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) ط. مكتبة القدسي. القاهرة ١٣٥٠هـ.
- ٦٥- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط. دار الفكر. تصحيح الشيخ علي محمد الضباع.

فهرس الكتاب

المقدمة.....	٥
أولاً: إعجاز رسم القرآن الكريم.....	٧
موقف العلماء من رسم المصاحف.....	٨
الكتابة عند العرب.....	١١
كتابة القرآن وجمعه.....	١٢
سمات مصحف عثمان.....	١٨
أسباب اختلاف القراءة فيما يحتمله خط المصحف.....	٢٣
نزول القرآن على سبعة أحرف.....	٢٤
هل الأحرف السبعة هي القراءات السبعة؟.....	٢٦
آراء العلماء في صور الأحرف السبعة.....	٢٦
الحكمة من إنزال الأحرف السبعة.....	٣١
هل الأحرف السبعة موجودة بالمصحف العثماني؟.....	٣٢
ضبط المصحف.....	٣٥
رسم القرآن أمام النبي ﷺ.....	٣٧
القراءات السبعة وعلاقتها بالأحرف السبعة.....	٣٨
درء الشبهات حول رسم المصحف.....	٤٠
وجوه الإعجاز البلاغي في الرسم العثماني.....	٤٤
الوقف والابتداء.....	٩٣
أسس الوقف والابتداء.....	٩٩
الدراسات الصوتية.....	١٠١
نشأة الأصوات.....	١٠١
اهتمام اللغويين بالدراسات الصوتية.....	١٠٢
لماذا لم يبدأ بالهمزة؟.....	١٠٣
علاقة علم الأصوات بعلم التجويد.....	١٠٥
أقسام الحروف وأنواعها حسب نخرجها.....	١٠٦
صفات الحروف العربية.....	١٠٨

- الفرق بين الألفاظ الصامتة والصائتة ١١٥
- الاتصال بين التجويد وعلم الأصوات ١١٧
- أصوات حروف العلة ١١٨
- مفهوم التنعيم ١٢٠
- اللغويون بين مؤيد لوجوده ومانع له في لغتنا ١٢١
- السكت وأثره في المعنى ١٢٨
- أسس الدراسة الصوتية ١٣٠
- اللحن الخفي ١٣٠
- أقسام مقاطع العربية ١٣٢
- سمات المقاطع الصوتية ١٣٢
- الإدغام ١٣٢
- حكم لام لفظ الجلالة ١٣٥
- أحكام النون الساكنة والتنوين ١٣٥
- أحكام الميم الساكنة ١٣٩
- الترادف في لغتنا العربية ١٤٣
- الترادف في لغة قريش ١٤٤
- هل في القرآن ترادف؟ ١٤٥
- الفروق اللغوية عند علماء اللغة ١٤٧
- الأدلة على منع الترادف التام ١٤٨
- المفسرون وإنكار الترادف التام ١٤٩
- المشترك اللفظي ١٥٠
- الأضداد ١٥١
- الجرس اللفظي والمعنى ١٥٣
- مراجع البحث ١٥٦
- الفهرس ١٥٩